جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-

كلية اللغات والأدب العربي

قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس

في الأدب العربي

تحت عنوان

الفكر الشيعي في العصر العباسي

من إعداد الطالب:

***طمراوي حمزة**

تحت إشراف الأستاذ:

*** جبارة اسماعيل**

السنة الجامعية 2018/2017

إهداء

إلـــى والـــديّ

من علماني نطق الكلمة ورسم الحرف

فقـــــط

مقدمة

الحمد رفيع الشآن و المقام الذي لا يسهى ولا ينام خلق الخلق و جعل إدراك العقل وبيان اللسان فيهم فرقا بين الأنام و الأنعام و الصلاة و السلام على محمد سليل الأنبياء و سيد ولد آدم بلا كبرياء أخرج الناس من ضلالة عمياء وجهالة جهلاء مات وتركهم على المحجة البيضاء وعلى آل بيته الأتقياء الأصفياء الذين نصروه في الرخاء وكانوا عزوته إذا اشتد البلاء و على أصحابه الأخيار ناشري الدين وفاتحي الأمصار جاهدوا في الله حق جهاده حتى كتبوا من الصادقين الأبرار ثم أما بعد:

العرب تلك الأمة التي تقطن الصحراء بعيدا عن موطن الحضارة آنذاك برعت في الشعر الذي يعتبر أصح علومها وأهمها هذا الفن الذي يظهر لنا حقيقة العرب ونظام عيشها في قصائد مازالت خالدة إلى اليوم ، لقد صور لنا الشعر العرب أمة قبلية لا تخضع لنظام عام على طريقة الإمبراطوريات و الممالك حينها ، بل تحكمها أعراف و عادات مشتركة لا يجوز الخروج عنها يتعصب لها وتقرع طبول الحرب من أجلها ثم جاء الإسلام فهذب عقل العربي فخفت تلك العصبيات وزالت النعرة التي كانت تحرك القبائل وتقودها الى الاقتتال وهاتين المرحلتين الجاهلية و الإسلام كان العربي ينظم القصائد فقد وجد في هذه المتغيرات مرتعا عظيما لشعره فسجلت هذه الحقبة أروع القصائد من أهم الشعراء الذي عاشوا المرحلتين أو من الذين ولدوا وعاشوا في ظل الإسلام ، لكن لم تدم هذه الروح الإنسانية الراقية كثيرا فقد حدثت جملة من الأحداث السياسية غيرت بنية المجتمع العربي

من قبائل إلى طوائف فنظمت القصائد في هذا الباب وأصبح للشاعر انتماء طائفي استبدله بالانتماء القبلي فبعد أن كان الشعر في القبيلة صار الشعر في الطائفة التي ينتمي إليها الشاعر .

فكانت أبرز الطوائف يومها الخوارج و الشيعة ومازال فكرهم يمتد إلى اليوم لوجود الرعاية السياسية لهما على مر التاريخ وقد تعرضت في هذا البحث إلى إشكالية التشيع وما مدى رسوخه في تراث الأمة الأدبي؟ لأن الشعر هو الآلة الإعلامية التي يتوجب على الطائفة امتلاكها فقد تحول الشعر من التعبير عن الوجدان و الأحاسيس الى فن يروج عقائد الطوائف و المذاهب فيعتبر هذا تحولا في منحى الشعر وحيدة على طبيعته المألوفة

وقد قسمت البحث إلى فصلين تناولت في الفصل الأول حال العرب في الجاهلية ثم الإسلام انتهاء بالعصر العباسي الذي ازدهرت فيه هذه الطائف ووقفت عند أهم المتغيرات السياسية التي ساهمت في ميلاد الطوائف المذاهب العقدية وفي الفصل الثاني قدمت نموذجا عن هذا وهي الطائفة الشيعية التي ينتمي إليها الشاعر – دعبل الخزاعي – الذي صرح في قصائده بمعتقدات الشيعة فقمت باستخراجها وشرحها وبسط الأدلة فيها مبينا بذلك مدى رسوخ المذهب الشيعي وتوغله في التراث الأدبي فالبحث عبارة عن محاولة لإبراز الجانب العقائدي من حياة حياة الشعراء وبيان انتمائهم الطائفي و المذهبي فالطائفية أكثر خطورة من القبلية لأنها لا تكتفي بمجرد الإنتماء بل تنتقل إلى مرحلة الحكم على الآخر المخالف و دعبل قد جسد هذا في شعره الأدبي صراحة .

مدخـــــل

استوطن العرب شبه الجزيرة العربية ، فكان مجتمعهم مجرد قبائل متفرقة ومتنازعة فيما بينها ، إذ لم تكن هناك دولة تنظم شؤونهم ، هذا المجتمع الذي يظهر مشتتا وممزقا ومتناحرا بين أفراده بسبب الحروب التي كانت تنشب بين القبائل إما لثأر، أو غارة ، اذا ما أمعنا النظر فيه وجدنا في القبيلة الواحدة نسيجا اجتماعيا يستحيل إختراقه للعلاقة التي تربط أفراد القبيلة ، وهذا النمط من العلاقة كان سائدا في كافة القبائل مما جعل من العرب أمة واحدة من حيث الطبائع المشتركة وممزقة من حيث العلاقة بالآخر .

لقد كانت القبيلة آنذاك دولة مستقلة لها من يحكمها ويسير شؤونها ويحدد مصير أفرادها فالقبيلة الإنتماء الأول والأخير للفرد و الطرد من القبيلة يعني الضياع ، مما جعل الواحد منهم يتماهى في قبيلته ،فعرض الواحد منهم عرض القبيلة أجمع و ثأر الواحد منهم ثأرهم جميعا ، كانوا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى وانعكس هذا في ثقافتهم المتمثلة في الشعر الذي هو أصح علومهم ومع أنه تعبير عن الوجدان والأحاسيس إلا أن القبيلة كان لها نصيب كبير في شعرهم ويظهر هذا جليا في فحوى قصائدهم التي تدور حول الفخر بالأنساب و البكاء على الأطلال واستنهاض الهمم في الحروب .

ففي الفخر بالأنساب قال معاوية بن مالك :

إنّي امرؤ من عصبة مشهورة حشد لهم مجد أشمّ تليد
ألفوا أباهم سيّدا وأعانهم كرم وأعمام لهم وجدود
إذ كلّ حيّ نابت بأرومة نبت العضاه فماجد وكسيد
نعطي العشيرة حقها وحقيها فيها ونغفر ذنبها ونسود
وإذا تحمّلنا العشيرة ثقلها قمنا به وإذا تعود نعود[1]

وفي الأطلال قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

1 - المفضل محمد بن يعلى بن سالم ، المفضليات دار المعارف - القاهرة - ط 6 ص355

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلم[1]

وقول طرفة بن العبد أيضا :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقول لاتهلك أسى وتجلد[2]

وفي الحرب قول عمرو بن كلثوم :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا[3]

يتكلم بصيغة الجمع مع أن المشكلة أحدثها وحده وهذا يدل على وقوف القبيلة أجمع في جنبه، هكذا كان مجتمع العرب قائما على العصبية والنعرة دون مراعاة ضابط العدل والإنصاف .

إلى أن جاء الإسلام فهذب من طبع العربي وجعله إنسانا آخر ، فقد قضى على كل الأخلاق الجاهلية بدءا بالعصبية القبلية التي كانت هي منطلق كل عصبية وأقام مجتمعا واحدا متكاتفا يجمعه القرآن والسنة النبوية المطهرة

فلم يعد العربي ذاك الرجل المعاند المكابر عن الحق بل العكس من ذلك تماما صار قانونه

قوله تعالى :

((ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى))

سورة المائدة الاية 7-8

1 - أبو زكرياء يحي بن علي التبريزي الخطيب ، شرح المعلقات السبع ، دار المحابر - الجزائر - ط 1 ص 177
2 - المصدر نفسه ص 73 - 74
3 - المصدر نفسه ص 218

لقد سادت الجزيرة العربية روحا إنسانية سامية حتى أصبح ماكان فخرا يومها عيبا وعارا بعد مجيء الإسلام و يعبر جعفر بن أبي طالب عن ذلك صراحة عند النجاشي قائلا: ((أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف ،فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقة وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة و الصيام [1])).

هكذا كان المجتمع الجاهلي وهذا ما فعله الإسلام في قلوب الناس ،بما حمله من قيم وسمو أخلاق في كتاب ذو نظم عجزت قرائح الشعراء أن تأتي بمثله ويعبر عن ذلك الوليد بن المغيرة قائلا بعدما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان إيتاء القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون)) سورة النحل الآية 90 ، قال: والله ،إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر[2])).

أم الشعراء فقد انبهروا بمتانة سبكه وبديع نظمه وهم الذين كانوا لا يرون كلاما أدق وأحسن من الشعر ، وقد عبر لبيد بن ربيعة عن ذلك لما قال له عمر بن الخطاب: ((أنشدني من شعرك فقرأ سورة البقرة وقال ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقرة و آل عمران[3]))، ومنهم من جعل من دين الإسلام موردا لشعره ، ففي أيام مبعثه صلى الله عليه وسلم كان الشعر يدور حول نصرة النبي صلى الله عليه وسلم مدحا وهجاء للمشركين وكان أبرز الشعراء حسان بن ثابت إذ يقول ردا على أبا سفيان بن الحارث :

وإنّ ولاة المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم، ووالدك العبد

1 إبن هشام ، السيرة النبوية ، دار الإمام مالك - الجزائر - الجزء 1 ص 257
2 القاضي عياض الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، دار الحديث - مصر - القاهرة - ص 176
3 إبن قتيبة الدينوري ، الشعر و الشعراء ، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ج 1 ص 153-154

وما ولدت أبناء زهرة منهم صمميما، ولم يلحق عجائزك المجد
فأنت لئيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الرّاكب القدح الفرد[1]

وقال عمر بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

من مبلغ عني الرسول محمدا بأنك حق و المليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق و الهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد[2]

واستمر الأمر هكذا زمنا حتى دانت الجزيرة للنبي صلى الله عليه سلم ، فأصبح الشاعر ينظم قصائده في الزهد و الجهاد و التوحيد وغيرها من الأغراض التي انبثقت من روح الإسلام .

سكنت نفس العربي ردحا من الزمن وذلك لما أحدثه القرآن من إخماد نار العصبية و تليين جفوة الطبائع التي أفضت قديما إلى الجور و الظلم والهمجية ،لكن الذي نشأت عليه العرب منذ قرون لا يستأصل منه في سنوات لذا كانت تظهر العقلية الجاهلية في كثير من الأحيان فينهى النبي صلى الله عليه وسلم بالوعظ تارة وبتطبيق الأحكام الشرعية الرادعة تارة أخرى ومثال الأول حديث أبي ذر لما تخاصم مع أحد الصحابة فعيره أبو ذر بأمه فشكاه الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ((إنك امرؤ فيك جاهلية[3]))، أي طبع من طبائع الجاهلية ثم أمره بالإحسان إليه ، أما ما يردع فهي الحدود الشرعية التي تطبق على الكل دون محاباة أو مراعاة لشخص أحد ،وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ابنته ((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[4]))، ولذا لم يكن هناك مانع من بعثها مرة أخرى إذا ما تم خرق الشريعة

1 محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، دار النهضة - مصر للطباعة و النشر- الجزء 1 ص 35
2 ابن هشام ، السيرة النبوية ، دار الإمام مالك - الجزائر - ج 2 ص 258
3 مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت - ج 3 ص 1282.
4 محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، دار طوق النجاة - سوريا - دمشق - ج 4 ص 175

الإسلامية التي تضبط كل شيء، كما أنه لايشترط في عودتها عودة الدعوى الجاهلية ،بل قد تكون بصبغة أخرى ما وجدت الظروف الملائمة لها .

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ((اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير، ومنكم أميرفقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبوبكرقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبو عبيدة أمين هذه الأمة, فقال عمر: أيكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وسلم–؟ فبايعه عمر وبايعه الناس[1])).

ثم بايع علي بن أبي طالب متأخرا بعد ستة أشهر ثم اجتمعت الكلمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقضي على الشقاق بين الناس ، ولما قضى أبو بكر نحبه بويع عمر بن الخطاب خليفة من بعده بعدما فوض الصحابة أبا بكر أن يختار لهم وكانت أيام عمر أيام فتح وعز وعدالة ، واتسعت رقعة الإسلام في عهده ودخل في الإسلام أقوام من بلدان لهم أعراف و تقاليد و موروث ثقافي مختلف ، كما أنهم لم يعيشوا الحياة الروحية التي تلقاها الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم مما ولد الكثير من التنافر بعد بين العرب وغيرهم وإن اجتمعوا على الإسلام ، و ما موجة الشعوبية إلا رد الإعتبار لفارس وحضارتها وتاريخها العريق و بروز الفرق و الطوائف ماهو إلا نتيجة الاطلاع على تراث الغير .

ولعمر مآثر جمة في الإسلام ((أول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من سن قيام شهر رمضان، وأول من عس بالليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من ضرب في الخمر ثمانين، ..... وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من اتخذ الديوان، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، ... وأول من احتبس صدقة في الإسلام، وأول من أعال الفرائض وأول من أخذ زكاة الخيل[2])).

1 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - الجزء 2 ص 187

2 عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - ط 1 ص 110

توفي عمر مقتولا بطعنة سكين غدرا من أبي لؤلؤة المجوسي الحاقد على الإسلام وأهله ثم بويع لعثمان بالخلافة، وكانت الفترة التي حكمها رضي الله عنه مختلفة عن فترة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد حكم رضي الله عنه طبقة مكونة من أبناء الصحابة و أهل ذمة من يهود ونصارى ومجوس وكذلك أقوام دخلوا في الإسلام وهؤلاء من كانت منهم الفتنة لأنهم أخذوا الشريعة جافة مجرد أحكام يقيمون بها دينهم فلن ينظروا إلى مآثره رضي الله عنه لأنهم تربو بعيدا عن الحياة الروحية التي كانت في مكة والمدينة .

إن عثمان لرجل حيي حليم يقدم عفوه على غضبه وحلمه على بطشه يسوس الناس باللين و الرفق ، لكن المارقين عنه ظنوا أن هذا وهن وضعف فيه إذ تعودوا من ملوكهم الطغيان و الجبروت ، لقد كان هؤلاء يتربصون بعثمان الزلات حتى يقوموا على خلعه وفي الحقيقة ليس خطأ عثمان هو السبب وإنما هي دعوة باطنية بثها عبد الله بن سبأ وهي القول بوصاية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب ، وشاء الله أن تتاح لهم الفرصة للخروج عليه ودعواهم يومها توليته أهل قرابته فقد كان معاوية على الشام من زمن عمر لكنه ((عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان بن عفان[1])) ، و((عزل عمر و بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله ابن سعد ابن أبي السرح وكان أخا لأمه[2])).

إن لعثمان رضي الله عنه مآثر أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي فترة حكمه رضي الله عنه ، أما أيام النبي صلى الله عليه وسلم فيكفي قوله صلى الله عليه وسلم ((من يحفر بئر رومة وله الجنة فحفرها عثمان و قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان[3])) ، أما في فترة حكمه فقد غزا على البحر فقد ((أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية .....فافتتحها سهلها و جبلها[4])) ، وكذلك في عهده تم فتح قبرص التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم حرام قال ((ناس

1 ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - الجزء 2 ص 1105
2 المصدر نفسه - ص 1103
3 محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، دار الإمام مالك - الجزائر - ط2 الجزء 2 ص 492
4 ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2 ص 8 / 10

من أمتي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة[1])) وكذلك غزوة الأندلس لما ((بعث إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى

الأندلس فأتياها من قبل البحر ..... فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد و المنة[2])) ، وكل هذا لم يشفع له رضي الله عنه فقد عزم دعاة الفتنة على إراقة دمه وفعلوا .

1 ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2 ج 2 ص 1104
2 المصدر نفسه ص 1103

الفصل الأول

الأحداث التاريخية لنشأة التشيع

الظروف التاريخية لبيعة علي رضي الله عنه

لقد كان وراء مقتل عثمان دعوة باطنية هدفها القضاء على الإسلام وضربه في العمق وما الدعاوى التي أقيمت على عثمان إلا ذرائع لخلعه ، كتوليته قرابته من أهل بيته وعزله لكبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، لكن الحقيقة ((أنّ رجلا يقال له عبد اللّه بن سبأ كان يهوديّا فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من النّاس كلاما اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنّه يقول للرّجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدّنيا؟ فيقول الرّجل:
نعم! فيقول له فرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدّنيا، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السّلام؟ ثمّ يقول: وقد كان أوصى إلى عليّ بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثمّ يقول: فهو أحقّ بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوامّ أهل الكوفة والبصرة، فتمالئوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصّحابة[1])) ، هذه كانت أول بذرة للتشيع والتي حملت أهم عقيدة تتفق فيها جميع الفرق الشيعية على اختلافهم وهي أن الإمامة في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بدءا بعلي بن أبي طالب ، و أن الصحابة اعتدوا على حقه فيها لما سكتوا عن حقه و لم ينصروه .

ساروا إلى عثمان منكرين عليه جملة من الأمور وكان يقدمهم ((طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون على حربه و الإنكار عليه وكان عظيم ذلك مسندا إلى محمد بن أبي بكر و محمد بن حذيفة ، حتى استنفروا من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين[2])) ، فخرج لهم علي بأمر عثمان لمحاجتهم فيما ادعوه من ((أنه

1 - ابن كثير ، البداية النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - ج 2 ص 1117
2 - المصدر نفسه ص 1120

حمى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة وأنه ولى الإحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من الناس [1])) فرد عليهم قائلا ((أما الحمى فإنما حماه لابل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه وقد حماه عمر من قبله.

وأما المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختلافْ، وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العرضة الأخيرة، وأما إتمامه الصلاة بمكة، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها، وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلا سويا عدلا، وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة))[2]

فلما سمعوا ذلك لم يبق لهم عذر في الخروج على عثمان رضي الله عنه ثم صفح عنهم رضي الله عنه وأذن لهم بالرحيل ،ولأن النية لم تكن ما أظهروا فسيتحينون الفرصة للعودة مرة أخرى وقدر أن تكون لهم هذه الفرصة

وذلك لما سمعوا باختلاف عثمان وعلي ومروان بن الحكم ، وكان السبب هو اعتراف عثمان بذنبه أمام الناس وفتحه بابه للناس يعرضون عليه حوائجهم فنهاه مروان بن الحكم عن ذلك إذ يرى أن هذا وهن وضعف قد يستغله الطامعون فيعودوا إلى الخروج عنه بينما كان علي يرى أن يسمع إلى الناس ويسير فيهم سيرة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

لكن عثمان مشى على رأي مروان بن الحكم ، فحدث النزاع بينه وبين علي بن أبي طالب فبلغ هذا الحدث القوم فرجعوا مرة أخرى ((وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان علي و طلحة و الزبير يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين وأنه أكبر الجهاد اليوم[3])) ، فاجتمعوا في المدينة وحاصروها

1 - ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج2 - ص 1121
2 - المصدر نفسه - ص 1121
3- المصدر نفسه ص 1123

وحبسوا عثمان في داره لا يخرج منها وكان قد منع الصحابة أن يدافعوا عنه وغلمانه حقنا منه للدماء فلما اشتد عليه الحصار دعا الأشتر النخعي فسأله : ((ما يريد الناس ؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد، قال: ما هن ؟ قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك.

فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله، وأما أن أقتص لهم من نفسي، فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي، ولا تصلون بعدي جميعا، ولا تقاتلون بعدي جميعا عدوا أبدا[1])) ، لكن أبى القوم إلا إراقة دمه ، إذ لم يكن لهم عليه حجة ، ((فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه، وقالت: يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين ؟ وأخذت السيف، فقطع الرجل يدها وانتهبوا متاع الدار[2])) .

قال كعب بن مالك في رثائه رضي الله عنه :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار النعام الجوافل[3]

1 - ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2 - ص 1133
2 - المصدر نفسه - ص 1133 - 1134
3 - المصدر نفسه - ص 1144

وقال حسان بن ثابت فيه رضي الله عنه :

ماذا أردتم من أخي الدين باركت يد الله في ذاك الاديم المقدد

قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد

فهلا رعيتم ذمة الله بينكم وأوفيتم بالعهد عهد محمد

ألم يك فيكم ذا بلاء ومصدق وأوفاكم عهدا لدى كل مشهد

فلا ظفرت أيمان قوم تبايعوا على قتل عثمان الرشيد المسدد[1]

ثم بويع لعلي بالخلافة من بعد عثمان رضي الله عنه وجعل عمالا على الأمصار غير الذي ولاءهم عثمان ، فرفض أهل الشام و مصر البيعة إلا بعد الاقتصاص من قتلة عثمان عدا أهل الكوفة فإنهم دخلوا في طاعة علي رضي الله، فلما بلغ علي مقالة أهل الشام قال:

((اللهم إني أبرأ إليك من قتلة عثمان[2])) ، ثم جهز الجيش وعزم على المسير إلى أهل الشام وقتالهم حتى يدخلوا في طاعته .

وما أخر علي الاقتصاص من قتلة عثمان إلا أنهم اندسوا في جيشه كما أن لهم أنصارا يمنعون عليا من ذلك فأراد اجتماع الكلمة و إعادة هيكلة الدولة وذلك باستبدال العمال من بني أمية بآخرين ثم يقتص من قتلة عثمان إذ كل الأمصار تحت طاعته عندها ، لكن أبى معاوية إلا الرفض مما جعل عليا يخرج له ، وفي هذه الأثناء كان طلحة و الزبير قد ذهبوا إلى عائشة رضي الله عنها يحثونها على الخروج معهم لمخاطبة الناس في أمر عثمان و ترغيبهم في تطبيق الشرع على قتلة عثمان رضي الله عنه ، ففعلت واجتمع عندها خلق كثير وساروا إلى البصرة ،

1 - ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2- ص 1144

2 - المصدر نفسه - ص 1176

فامتنع القتلة في قبائلهم ولم يقدروا عليهم وحدثت معركة عظيمة لم تفضي إلى شيئ وإنما زادت تعنت القبائل و تمسكهم برأيهم ، فأرسل علي القعقاع بن عمرو التميمي إلى الثلاثة لمعرفة سبب خروجهم إلى البصرة فأتى عائشة رضي الله عنها فقال لها: ((أي أماه ما أقدمك هذا البلد فقالت : أي بني الإصلاح بين الناس فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها فحضرا ، فقال القعقاع إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس ،فقالا نحن كذلك[1])) ، فارتحل علي إلى البصرة بجيشه وقد اجتمع القوم على كلمة واحدة وهي البيعة ثم الإقتصاص من قتلة عثمان رضي عنه ، فلما بلغ الأمر ابن سبأ وحزبه قالوا ((إن كان اصطلح معهم فإنما قد اصطلحوا على دمائنا[2])) وهذا الذي دفع به إلى الخديعة والمكر وبث الفتنة من جديد بين الفريقين ، إذ لما وصل علي إلى البصرة راسل طلحة والزبير ليتأكد من نيتهما فقال : ((إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجاد وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملا من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال: ما للناس ؟ فقالوا، بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد

1 - ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2 ص 1183
2 - المصدر نفسه - ص 1184

منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا[1])) ، كانت فتنة عظيمة دبرها عبدالله بن سبأ مات فيها الكثير من الصحابة قتل فيها طلحة و الزبير وكادت عائشة رضي الله عنها تهلك لولا أن الله حفظها ، وأحسن إليها علي بعد ذلك وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ((فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار، فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وسار علي معها مودعا ومشيعا أميالا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم.[2])) .

لم يتوقف الأمر هنا ولم يعتبر أهل الشام بما حدث في البصرة وقد تبين لهم أن القتلة في منعة بين أقوامهم ، وأن الإقتصاص من القتلة مستحيل والكلمة غير مجتمعة على خليفة واحد ، وأن أي محاولة للقتال هي ضرب من الفوضى وإراقة الدماء دون جدوى ،لكن معاوية كان يرى غير هذا ((فخرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ عليّا فسار إليه، فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أياما، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول بأذرح، فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلي إلى الكوفة، فخرجت عليه الخوراج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان، فعرضوا للسبيل، فسار إليهم على

1 - ابن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس - ج 2 ص 1185 - 1186
2 - المصدر نفسه - ص 1192

فقتلهم بالنهروان، وقتل منهم ذا الثدية، ذلك سنة ثمان وثلاثين، اجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليّا، وتكلم عمرو فأقر معاوية، وبايع له، فتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف مع أصحابه حتى صار يعض علي أصبعه ويقول: أعصى ويطاع معاوية ؟

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه ..... فخرج علي من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم، فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق، وأقام علي الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا[1]))، ونجى كل من معاوية وعمرو ، فما كان من أنصارعلي إلا أن يجتمعوا على خليفة حتى يمضي فيهم إلى ما خرجوا من أجله ،((ولي الحسن –رضي الله عنه– الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة، فأقام فيها ستة أشهر وأياما، ثم سار إليه معاوية، والأمر إلى الله، فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه، على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى ألا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه، وعلى أن يقضي ديونه، فأجاب معاوية إلى ما طلب، فاصطلحا على ذلك فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه

1 - عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - ط 1 - ص 135-146

وسلم: "يصلح الله به بين فئتين من المسلمين" ونزل له عن الخلافة[1])) ، هذا الأمر لم يرضي أنصاره إذ ما سالت تلك الدماء إلا لنصرة أبيه على العاصين له فكيف يزهد في تلك الدماء ويقدم الخلافة لمعاوية ،لقد كانت صدمة لهم مما جعلهم ينقمون عليه ((فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار، وقال له رجل السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك[2])) .

ارتحل الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى المدينة بعدما تأكد بأن السيوف قد أغمدت ونار الفتنة قد خبت وبقي فيها حتى مات رضي الله عنه .

هذه الأحداث كلها مترابطة تضمنت العديد من الأمور أولها : بروز طائفتين مازالتا إلى يومنا هذا وتستمد شرعيتها مما وقع من هذه الأحداث هما الخوارج بدعوى لاحكم إلا الله و الشيعة بدعوى الإمامة في آل البيت بالنص .

لقد كانت معركة صفين هي المنعطف الذي غير وجهة الأمة الإسلامية ومنحاها في الدين والسياسة فقد قضى معاوية على الشورى وأصبح بدلها الملك والتوريث أما الدين فقد ظهرت طوائف حادت عن فهم الصحابة للدين متأولين النصوص محرفين لمقاصدها ، وأصبح الناس يتحزبون كل إلى طائفته و حزبه وأولهم الشعراء فد وجدوا في هذه المتغيرات مرتعا عظيما فنظموا القصائد في طوائفهم وانتماءاتهم وبذلك أعادوا العصبية من جديد لكن هذه المرة في ثوب الطائفة .

1- عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - ط 1 - ص 147

2 - المصدر نفسه - ص 147

بروز شعر الخوارج بعد معركة صفين

لقد كانت معركة صفين بداية عهد جديد في الأمة الإسلامية إذ برز في المجتمع الإسلامي أقوم أباحوا دماء المسلمين باسم الإسلام.

إنهم الخوارج الذين كانوا أنصاره المساندين له ضد معاوية ، وبعضهم كان مع قتلة عثمان رضي الله عنه واندسوا في جيشه رضي الله عنه هؤلاء القوم الذين قعدوا لأنفسهم منهجا مغايرا لما عرفه المسلمون قبل ، إذ جعلوا كل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا مستباح الدم والمال والعرض لا ذمة له عندهم وقد استمدوا هذا من واقعة التحكيم بين علي ومعاوية فخرجوا على علي وحجتهم يومها قولهم : ((لما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية فقال إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدوم عليهم والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ولم يكن منهم ردة عن الإسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه فخجل القوم من هذا ثم قالوا له نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك فقال فعلت مثل ما فعل رسول الله يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو وأخبرني رسول الله أن لي منهم يوما مثل ذلك فكانت قصتي في هذا مع الأبناء قصة رسول الله مع الآباء فقالوا له فلم قلت للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتاني فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى فقال إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ولو قلت للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرض بذلك معاوية وقد دعا

رسول الله عليه السلام نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم {تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}. فأنصفهم بذلك عن نفسه ولو قال ابتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسي ولم أدر غدر عمرو بن العاص قالوا فلم حكمت الحكمين في حق كان لك فقال وجدت رسول الله قد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل وأقمت أنا أيضا حكما لكن حكم رسول الله عليه السلام حكم بالعدل وحكمي خدع حتى كان من الأمر ما كان فهل عندكم شيء سوى هذا فسكت القوم وقال أكثرهم صدق والله وقالوا التوبة واستأمن إليه منهم يومئذ ثمانية ألف وانفرد منهم أربعة آلاف بقتاله))[1] ، فهزموا إلا قليلا منهم تفرقوا في الأمصار ليعودوا من جديد على شكل طوائف يتفقون في التكفير ويختلفون في أسبابه ، لأن الأمر عقيدة وليس سياسة فقط .

إن المتأمل في حال هؤلاء يجدهم يحملون عقيدة التكفير مسبقا من مقتل عثمان على خلاف علي رضي الله عنه ،إذ كان يرى القوم اجتهدوا وأخطئوا وخطأهم سياسي لا يخرجهم من دين الله ، ومنذ متى كان في الإسلام كفرا الامتناع عن البيعة لم يكن إلا بعد خروج هؤلاء فسنوا بذلك سنة قتل الأمراء على الزلات ليتطور الأمر فيما بعد إلى عقيدة لابد للناس التزامها ومن لم يفعل فهو مارق عن دين الله لا حظ له في الإسلام ، لقد كانت وقعة صفين المورد الأول للخوارج فتحكيم الرجلين بدل شرع الله أعطاهم الشرعية الدينية في نظرهم لقتل الأمراء متأولين النصوص تارة ومحرفين إياها تارة أخرى واستفحل أمرهم بعدما حاولوا قتل معاوية وعلي فنجا الأول وقتل الثاني واستمروا على هذا النهج إلى عصرنا الحاضر إذ يرون أن الحكام لا شرعية لهم منذ ذاك الزمن .

1 عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار إبن الجوزي - ط 1 ,2014 ص 36-37

نتج عن هذه الحركة بروز تيار في الشعر الإسلامي ((زهدي ثوري جامح، يكبر الإنسان الخارجي إكبارا شديدا، لأن كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يعد شهيدا، فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده، وهو الذي يستحق الرثاء والبكاء، مثلما أن الجماعة الخارجية هي العصبة المثالية التي تمثل الحق، فهي إذن تستحق المدح والثناء؛ ومن ثم كان موضوع هذا الشعر))[1] ، إضافة إلى هذا استعملوا الشعر في تأريخ الحوادث التي كانت تحدث معهم و أمثلة هذا كله يظهر في هذه القصائد .

فقال العيزار بن الأخنس الطائي عندما خرج يوم النهروان بين الصفين :

1 – ألا ليتني في يوم صفين لم أوب وغودرت في القتلى بصفين ثاويا

2 – وقطعت آرابا وألقيت جثة وأصبحت ميتا لا أجيب المناديا

3 – ولم أر قتلى سنبس ولقتلهم أشاب غداة البين مني النواصيا

4 – ثمانون من حيي جديلة قتلوا على النهر كانوا يحضبون العواليا

5 – ينادون لا لا حكم إلا لربنا حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا

6 – هم فارقوا في الله من جار حكمه وكل عن الرحمن أصبح راضيا

7 – فلا وإله الناس ما هاب معشر على النهر في الله الحتوف القواضيا

8 – شهدت لهم عند الإله بفلجهم إذا صالح الأقوام خافوا المخازيا

9 – وآلوا إلى التقوى ولم يتبعوا الهوى فلا يبعدن الله من كان شاريا [2]

وقال فروة بن نوفل الأشجعي يوم التحكيم :

قال يذكر أمر التحيكم وفراقهم لعليّ

1 – كرهنا أن نريق دما حلالا وهيهات الحرام من الحلال

2 – وقلنا في التي [...] بقول معاذ الله من قيل وقال

3 – نقاتل من يقاتلنا ونرضى بحكم الله لا حكم الرجال

4 – وفارقنا أبا حسن عليا فما من رجعة أخرى الليالي

1 إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة - لبنان -بيروت - ط 2 1974 ص 09

2 المرجع نفسه - ص 32

5 – فحكم في كتاب الله عمرا وذاك الأشعري أخا الضلال[1]

ابن أبي مياس المرادي

قال في قتل علي رضي الله عنه

1 – ونحن ضربنا، يا لك الخير، حيدرا أبا حسن مأمومة فتفطرا

2 – ونحن حللنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علا وتجبرا

3 – ونحن كرام في الصباح أعزة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا [2]

وقال أيضا

1 – ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم

2 – ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب عليّ بالحسام المصمم [3]

أحد الخوارج

قال في مقتل عليّ

1 – دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها

2 – أبا حسن خذها على الرأس ضربة بكف كريم بعد موت ثوابها [4]

أما فيما يخص الرغبة في الآخرة ونبذ الدنيا أنهم على الحق والهدى دون غيرهم و الحث على القتال قال بلال مرداس بن أدية :

– ما إن نبا لي إذا أرواحنا خرجت ماذا فعلتم بأجساد وأوصال

2 – نرجو الجنان إذا صارت جماجمنا تحت العجاج كمثل الحنظل البالي

3 – إني امرؤ باعشي ربي لموعده إذا القلوب هوت من خوف أهوال

4 – وأدت الأرض مني مثل ما أخذت وقربت لحساب القسط أعمالي

5 – نفسي ظنون ولست الدهر آمنها من بعد كعب وطواف وغسال

6 – من كان من أهل هذا الدين كان له ودي وشاركته في تالد المال

1 إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة - لبنان -بيروت - ط 2 1974 - ص 42
2 المرجع نفسه ص 35
3 المرجع نفسه - ص 35
4 المرجع نفسه - ص 38

7 – الله يعلم أني لا أحبهم إلا لوجهك دون العم والخال[1]

وقال أيضا :

1 – إلهي هب لي زلفة ووسيلة إليك فإني قد سئمت من الدهر
2 – وقد أظهر الجور الولاة وأجمعوا على ظلم الحق بالغدر والكفر
3 – وفيك إلهي إن أردت مغير لكل الذي يأتي إلينا بنو صخر
4 – فقد ضيقوا الدنيا علينا برحبها وقد تركونا لا نقر من الذعر
5 – فيا رب لا تسلم ولاتك للردى وأيدهم يا رب بالنصر والصبر
6 – ويسر لنا خيرا ولا تحرمننا لقاء ذوي الإلحاد في عدد دثر
7 – فلسنا إذا جمت جموع عدونا وجاءوا إلينا مثل طامية البحر[2]

عروة بن أدية

قال:

1 – لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا ما الفتى لاقى الحمام كريما
2 – ولكنما ضر الحياة وعارها أحال عليه أن يموت ذميما [3]

عيسى بن فاتك الخطي

1 – فلما أصبحوا صلوا وقاموا إلى الجرد العتاق مسومينا
2 – فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجعائل يقتلونا
3 – بقية يومهم حتى أتاهم سواد الليل فيه يراوغونا
4 – يقول بصيرهم لما رآهم بأن القوم ولوا هاربينا
5 – أألفا مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
6 – كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
7 – هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

1 إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة - لبنان -بيروت - ط 2 1974 ص 50
2 المرجع نفسه – ص51
3 المرجع نفسه - ص 52

8 – أطعتم أمر جبار عنيد وما من طاعة للظالمينا[4]

عمران بحطان

لا يركنن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني تارة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي اكناف سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الإقدام[1]

هكذا كان يرى الخواج أنفسهم مجاهدين في سبيل الله ما أخذوا غنيمة و مكسبا مالا كان أم سبيا وإن دارت عليهم الدائرة رأوا أنفسهم شهداء مأجورون على ما هم فيه ، فجسدوا عقيدتهم في شعرهم الذي يستعطفون به الناس بمخاطبة مشاعرهم الإسلامية متأولين نصوص الجهاد في سبيل الله و ما للمجاهد من أجر وثواب عند الله كما أن طريقتهم في الحياة يظهر فيها الغيرة لدين الله ونبذ الدنيا يطلبون بذلك الآخرة وهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم ((يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرءون القرآن ولا يجاوز حناجرهم[2])) ، و حالهم ((يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميّة[3])) أي أن ماهم فيهم ضلال في ضلال لكن تبقى قصائدهم شاهدة على ميلاد لون جديد من الشعر هو شعر الطائفة .

1 إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة - لبنان -بيروت - ط 2 1974 ص 18
2 محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار طوق النجاة - ط 1 الجزء 6 ص 176
3 المصدر نفسه - ص 176

الصراع بين الحسين ويزيد وأثره على الخلافة

مات الحسن وخلا الأمر لمعاوية إذ لم يعد هناك من ينازعه الأمر، فعمد إلى تولية ابنه يزيد بعد أن ذلل له طريق الملك بإخضاع رقاب العرب في جميع الأمصار له فجمع له البيعة من الناس في الشام ،لكن الأمر تعسر عليه في الحجاز و المدينة والعراق إذ هوى القوم هناك طالبي ومازال في القوم من شهد صفين وما حدث فيها من مكر و حيلة في منازعة الأمر أهله ، كما أنهم لن يعدلوا بكبار الصحابة الذين هم خير من ابنه يزيد دينا وخلقا وسابقة في الإسلام.

كان الأمر يدور يومها على ثلاثة رجـــال عبد الله بن الزبيـــر و عبد الله بن عمر و الحسين بن علي بن أبي طالب وهو أقربهم إليها إذ الخلافة كانت في أخيه وفي أبيه من قبله فلن يعدل به الناس إلى أحد كما أن شرف النسب وفضائله لا تخفى على أحد أما ابن عمر رضي الله عنه فقد كان زاهدا في الدنيا مبغضا للفتن وعبد الله بن الزبير لن يبايعه الناس و الحسين على قيد الحياة وقد كان هذا وحصل ما كان يتوجسه معاوية من الرجلين فكلاهما امتنع عن البيعة ولاذ بالحرم.

لما بلغ أهل الكوفة امتناع الحسين عن البيعة و اعتكافه بالحرم راسلوه على أن يقدم الكوفة فبايعوه على أن يسيروا معه إلى خلع يزيد بن معاوية فكتب أعيان الكوفة وكبراءها من أهلها كتابا قالوا فيه : ((سلامٌ عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضىً منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدت له كما بعدت ثمود، وأنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في

قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[1])) ، فأجابهم إلى ذلك وكتب إليهم ردا على عليهم إجابة لرغبتهم فقال : ((أما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملإكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق، والسلام.[2])) فذهب مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليجمع من الناس البيعة ويوطد للحسين رضي الله عنه حتى إذا قدم لقيهم على قلب رجل واحد فلما أتاها ،((نزل في دار المختار، وقيل غيرها، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة،[3])) ،وكان حينها لنعمان بن بشير واليا على الكوفة ، وكان رجلا حليما كارها للدماء يبذل سبل السياسة في رد الناس عن شق الطاعة و الدخول في فتنة تسفك فيها الدماء وتنتهك فيها الأعراض فخطب فيهم قائلا ((فلا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال. وكان حليماً ناسكاً يحب العافية، ثم قال: إني لا أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أنبه نائمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا معين، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل[4])) .

1 ابن الأثير ن الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - الجزء 3 ص 133
2 المصدر نفسه - ص 133
3 المصدر نفسه - ص 134
4 المصدر نفسه - ص 134

هذا الخطاب الذي يحمل في طياته الحلم و العقل وحسن السياسة ما كان ينفع مع أناس يستعدون لخلع ملك وتولية آخر ،فقد رأى يزيد وبطانته من هذا الخطاب الضعف والوهن وعدم القدرة على إخماد الفتنة وجمع الناس على رأي واحد إذ فالأمر أعظم من أن يكتفي فيه بالوعظ والتهديد ، فالخارج لأهل الكوفة هو الحسين بن علي بن أبي طالب له من المكانة و الحظوة عند الناس ما ليس لغيره، وقد لبى فيهم رغبة أحجم عنها أخوه لما نزل عن الخلافة لمعاوية وخالف رغبتهم، فهذه الأسباب و الظروف المحيطة كلها تتطلب نهجا آخر مع هؤلاء القوم للحيلولة بينهم وبين مبتغاهم .

إن يزيد وبطانته ليعلمون جيدا أهل الكوفة وطريقة تفكيرهم فالمال من جهة و البطش من جهة أخرى وتجدهم قد تنصلوا من مبادئهم، فعزل النعمان بن بشير وولى عبيد الله بن زياد فجمعت له البصرة والكوفة معا و أمر بإخماد الفتنة بشتى الطرق ، فلما دخل على الكوفة خطب فيهم خطابا فيه من الترهيب على شق الطاعة مثلما فيه على من الترغيب في لزومها فقال : ((إن أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذٌ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البر، ولمطيعكم كالأخ الشقيق، وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق امرء على نفسه.[1])) ، هذ الخطاب جعل من مسلم بن عقيل يتوجس من أهل الكوفة الريبة خشية أن يسلموه وقد فعلوها من قبل فعمد إلى تغيير مكانه فخرج من ((دار المختار وأتى دار هانىء بن عروة المرادي فدخل بابه واستدعى هانئاً، فخرج إليه، فلما رآه كره مكانه فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال له هانىء: لقد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري لأحببت

1 ابن الأثير ن الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - الجزء 3 ص 136

أن تنصرف عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، ادخل. فآواه، فاختلفت الشيعة إليه في دار هانىء.[1])) .

فما كان لابن زياد طريق لمسلم بن عقيل إلا أسلوب الحيلة والدسيسة لمعرفة مكانه فجند مولى له وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له : ((اطلب مسلم ابن عقيل وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم أخبارهم[2])) ، ففعل ودخل بينهم وعلم أن مسلما في دار هانئ يختلف إليه الشيعة من أجل البيعة على النصرة والتمكين.

سمع ابن زياد هذا فاستدعى هانئا إلى قصره وأخبره بما يحدث في داره ، فأنكر هانئ بادئ الأمر حتى أخرج له ابن زياد الرجل الذي كان يجتمع معهم فعلم أن الرجل كان عينا له ، فأقر هانئ بالأمر وطلب من ابن زياد أن يأذن له بإخراجه من بيته فرفض ابن زياد وقال ((لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به[3])) ، فلما سمع ابن عقيل خبر هانئ نادى في الناس فاجتمعوا حتى ضاق الأمر على ابن زياد ولأن تركيبة المجتمع في العراق مازالت قبلية ،أي ان الولاء دائما لرئيس القبيلة فله الكلمة الفصل في الأمر.

لجأ ابن زياد إلى هذه الحيلة ((فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس[4])) ، وكذلك مع باقي القبائل فامتثلوا أمره وثبطوا الهمم ورهبوهم من العصيان ومنوا أهل الطاعة بالمال ((فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا

1 ابن الأثير ن الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - الجزء 3 ص 137
2 المصدر نفسه - ص 137
3 المصدرنفسه - ص 140
4 المصدر نفسه - ص 142

يتفرقون حتى إن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً))[1] ، تفرقوا عنه في الطريق ولم يبق إلا وحده تائها في طرقات الكوفة لا مأوى له ولا نصير وأن القوم قد خذلوه ونكثوا بيعتهم وكل هذا والحسين لا يعلم شيئا ، فقبض على مسلم بن عقيل وقتل هو وهانئ بن عروة الذي آواه .

كانت خيانة عظمى يندى لها الجبين لم ترى إلا في اليهود ناكثي العهد و الميثاق ، إذ كيف يسلم رجل إلى هلاكه بعدما أخذ البيعة على النصرة والتمكين ، لكن المتتبع لحال القوم لا يعجب من هذا فقد فعلوها مع علي بن أبي طالب من قبل وكان السبب في زهد الحسن فيهم إذ علم أن النفاق يسري فيهم مسرى الدم ،لكن الأسى وكل الأسى على الذي لا يعلم شيئا وقد سار بأهله وذويه ولا يدري أن القوم قد باعوه بعرض من الدنيا قليل .

وما إن بلغ الحسين مشارف الكوفة حتى استقبله جند ابن زياد فدارت بينهم المعركة وقتل رضي الله عنه عطشانا وسيق أهله إلى الشام حتى ينظر في أمرهم يزيد ابن معاوية .

لقد كانت كسرة نجم عنها عدة أشياء منها بروز التشيع الذي ظل حبيس الظل إلى أن قامت الدولة العباسية في خرسان و التي نشأت على بسواعد الشيعة بعدما روجوا لأنفسهم نصوصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبئ بخلافتهم من بين هذه النصوص ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس: فيكم النبوة وفيكم المملكة))[2] وكذلك قول

1 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - الجزء 3 ص 142
[2] ابو بكر البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1ج 7 ص517

النبي صلى الله عليه وسلم ((تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم))[1] واستغلوا أيضا أهم عقيدة كانت يروج لها الشيعة ويستأنسوا بها كلما حل بهم خطب أو مصيبة إنها عقيدة المهدوية .

لقد ادعاها العباسيون مستندين إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يقتتل عند حرتكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا تصير إلا لواحد منهم، ثم تقبل الرايات من خراسان فيقتلونكم مقتلةً لم ير مثلها، ثم ذكر شيئاً فإذا كان كذلك فأتوه ولو حبوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي))[2] .

وبهذه السياسة قامت الخلافة العباسية ودانت لها بلاد الإسلام قاطبة ثم انتقل الصراع إلى بيت آل النبي أنفسهم وكان مع الطالبيين إذ يرون الخلافة فيهم قامت بسواعد شيعتهم وأنها كانت فيهم قبل مما دفع بالعباسيين إلى قتل الطالبيين وتشريدهم فالملك عقيم ولا رحم له ، وقد وجد الشعراء في هذه المآسي مرتعا عظيما فنسجوا أروع القصائد وما خلفه دعبل من قصائد في آل البيت دليل على ذلك وقد صور الصراع العلوي العباسي في قصيدة يعاتب فيها بني العباس راثيا الطالبيين قائلا :

أنسى الحسين ومسراهم لمقتله وهم يقولون هذا سيد البشـــــــر

يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن حسن البلاء على التنزيل والسور

خلفتموه على الابناء حين مضى خلافة الذئب في الأبقار على بقر

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم كـــما تشـــارك أيســـار على جزر

[1] أبو بكر البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1ج 7 ص517

[2] أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، دار الرسالة ط 1 ج 5 ص 212

قتلا وأسرا وتحريقا ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عــذر[1]

رجع التشيع مرة أخرى إلى الظل بعيدا عن دهاليز السياسة و الحكم قرونا وظل محصورا في إطاره الديني .

[1] دعبل بن علي الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، ص 76

التشيـــــــــع الديـــــــــني

لم يتجاوز التشيع بادئ الأمر الحب والنصرة حب آل النبي صلى الله عليه وسلم ونصرتهم ولم يأخذ بعده الديني إلا بعد أن حدثت جملة من الوقائع السياسية التي أعطت هذا المفهوم بعدا آخر ترتب عليه تكفير المخالف ومحاربته واستباحة ماله وعرضه وكانت هذه الأحداث هي ((اختلاف معاوية مع علي رضي الله تعالى عنهما بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه فكان يقال عن أنصار علي رضي الله عنه الخليفة الراشد الرابع والأحق بالخلافة من معاوية وغيره وكانوا يشايعونه ويناصرونه في حروبه مع معاوية رضي الله عنه كما كان شيعة معاوية يرون الأمر بالعكس للجوء قتلة عثمان بن عفان إلى معسكر علي رضي الله عنه وتحت كنفه حسب زعمهم وما دام هؤلاء كذلك لم إلى أن يكونوا معتقدين بثبوت الخلافة وأحقيتها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه))[1] حدث التحكيم بينهما وانشقت الخوارج عن علي بن أبي طالب بحجة لا حكم إلا لله وكفروا بذلك مخالفيهم لأنهم احتكموا إلى رأي البشر فاستباحوا بذلك الدماء و الأعراض و الأموال وانزلوا حكم الكافر على المسلم ،هذا المنهج سطروه حتى يعطوا لأنفسهم الشرعية الدينية للخروج عليه رضي الله عنه وانتهج المخالفون لهم نفس الأسلوب لإضفاء الشرعية على حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه كقولهم ((من كنت مولاه

[1] إحسان الهي ظهير ، الشيعة و التشيع _فرق و تاريخ_ دار ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ط 10 ص 13

فعلي مولاه))[1] وقولهم ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية))[2] ثم بعد ذلك أصبح يستدل بالنصوص لا لإثبات الخلافة بل لإبراز المكانة الدينية وهي ما اصطلح عليه فيما بعد بالإمامة التي يراها الشيعة إتماما للنبوة وان الإمام منصوص عليه من الله ويوصي بها لمن بعده ولا يتم اختياره عن طريق الشورى .

إن هذه الدعوى إذا ما تتبعنا جذورها وجدناها قد بدأت مع عبد الله بن سبأ الذي قال ((محمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء))[3] قمعت هذه الدعوى إذ لم تكن الظروف تساعد على انتشارها ولاسيما مع وجود كبار الصحابة و الناس تأخذ عنهم الدين ، لكن لما بعد العهد وقتل الحسين رضي الله عنه تلك القتلة الشنيعة حرك في الناس العاطفة نحو آل البيت فاعتقدوا فيهم تلك العقائد الباطلة وجعلوهم في مصاف الأنبياء .

قعّد ابن سبأ عقيدتي الإمامة و الرجعة بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم ((أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدّنيا ؟ فيقول الرّجل: نعم ، فيقول له فرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أفضل منه فما تنكر أن يعود))[4]، ثم تطور الأمر وجعلت الرجعة في الإمام .

---

[1] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ط 1 ج 2ص71

[2] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري ، دار طوق النجاة ، ط 1 ج 1ص97

1 ابن كثير ، البداية النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - الجزء 2 ص 1117

4 المصدر نفسه ج 2 ص 1117

تعد فترة المختار الثقفي من أهم الفترات ، فقد برز التشيع بقوة وتعددت الطوائف الشيعية وظهرت معه أهم عقائد الشيعة وهي الغيبة و البداء إضافة إلى الإمامة و الرجعة وهي عقائد متفق عليها بين كل طوائف الشيعة وإن اختلفوا في الإمام الذي يكون من بعد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فمنهم من قال يجب أن تكون في آل البيت فقط ومنهم من قال يجب أن تكون في ذرية الحسين وبناء عليه تعددت الطوائف الشيعية عبر التاريخ ، لكن أشهرهم الزيدية والإسماعيلية و الإمامية فقد امتدوا إلى يومنا هذا، أما الكيسانية فهي بداية التشيع الديني وسميت بهذا الاسم انتسابا إلى المختار الثقفي الكيساني فهو الذي اخذ بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وبعدها قال ((إن الإمامة بعد علي كانت لابنه الحسن ثم الحسين ثم صارت إلى محمد بن الحنفية بوصية أخيه الحسين)) [1].

من عقائدهم أن ((محمد بن الحنفية حي لم يمت و أنه في جبل رضوى ، وعنده عين من الماء و عين من العسل يأخذ منها رزقه و عن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه وهو المهدي المنتظر)) ، وفي هذا يقول كثير :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان بر وسبط غيبته كربلاء

[1] عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط 2 ص 27

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء [1]

أما الزيدية فقد ساقت الإمامة من ((علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب))[2] وهم ثلاث طوائف جارودية و جريرية أو السليمانية وبترية وأشهرهم الجارودية وهي ممتدة إلى اليوم وهم ((أتباع الجارود وقد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بالوصف دون الإسم وزعموا أيضا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وقالوا أيضا بأن الحسن بن علي كان هو الإمام بعد علي ثم أخوه الحسين كان إماما بعد الحسن وافترقت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت أن عليا نص إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الإمامة بعد الحسن و الحسين شورى في ولد الحسن و الحسين فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا إلى دينه وكان عالما ورعا فهو الإمام وزعمت الفرقة الثانية منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نص على إمامة الحسن بعد علي وإمامة الحسين بعد الحسن ثم افترقت الجارودية بعد هذا في الإمام المنتظر فرقا منهم من لم يعين واحدا بالانتظار وقال كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولدى الحسن أو الحسين فهو الإمام ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن

[1] عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط 2 ص 27/ 29

[2] إحسان الهي ظهير ، الشيعة و التشيع _فرق و تاريخ_ دار ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ط 10 ص 204

الحسن بن على بن أبي طالب ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم انه هو المهدى المنتظر الذي يخرج فَيملك الأرض))[1]

يعد جعفر الصادق شخصية محورية في التشيع فبعد وفاته انقسموا إلى قسمين شيعة نقلوا الإمامة منه إلى موسى ليكون الإمام السابع وهم الإمامية وقسم نقل الإمامة إلى ابنه إسماعيل وهم الإسماعيلية فيكون ترتيب الأئمة عندهم يبدأ من علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم إسماعيل بن جعفر آخر الأئمة .

((كثر الإسماعيلية كثرة هائلة وانتشروا في الأقطار و أسسوا دولة قوية في القيروان من بلاد المغرب ، ثم القاهرة من بلاد مصر ، وكان أول خليفة لهم المهدي الفاطمي .... وأول خليفة لهم في مصر المعز الفاطمي ادخله إليها قائده جوهر سنة 362 هـ ، وكان آخر خلفائهم العاضـــد لدين الله أزاله عن الخلافة صلاح الدين الأيوبي في سنة 567 هـ .... و الإسماعيلية في عصرنا أقل عددا من الشيعة و الزيدية وليس لهم دولة ولكن أحوالهم السياسية و الاجتماعية حسنة جدا خصوصا الموجودين في الهند ويقال لهم البهرة)) [2].

أمّا الإمامية فلهم عدة ألقاب منها الجعفرية لأن أغلب دينهم أخذوه من جعفر الصادق بزعمهم ومنها القطيعية لأنهم قطعوا بموت أئمتهم وتابعوا تسلسل الأئمة ، ومنها أيضا

[1] عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط 2 ص 23

[2] محمد حسين الزين ، الشيعة في التاريخ ، شبكة الإمامين الحسنين للتراث الإسلامي ط 2 ص 60

الاثناعشرية لأن لهم اثنا عشر إماما وهو أشهرها ، لكن بعد زوال الكثير من الفرق صار لفظ الشيعة العام يطلق عليهم خاصة لأنهم أكثر الطوائف انتشارا وأكثرها تابعا عبر التاريخ و الى يومنا الحاضر .

ترى الإثناعشرية أن الإمامة ثابتة بالنص من علي بن أبي طالب إلى الحسن ثم الحسين ثم قالوا بإمامة ((زين العابدين علي بن الحسين وإمامة محمد بن علي الباقر وإمامة جعفر بن محمد الصادق وإمامة موسى بن جعفر الكاظم وإمامة علي بن موسى الرضا وإمامة محمد بن علي الجواد وإمامة علي بن محمد الهادي وإمامة الحسن بن علي العسكري وإمامة محمد بن الحسن المهدي وهو الِإمام الثاني عشر))[1] وتنتقل من إمام لآخر عن طريق الوصية وقد حدث في سلسلتهم جملة من الأحداث كادت تقضي على مذهبهم وذلك في ((إمامهم التاسع علي بن محمد التقي، إذ مات ولده الذي كان قد عيّنه إماما من بعده وأخبر أنه معين من قبل الله ورسوله، من قبل أن يموت أبوه، ولم يتحقق ما أخبر الله به، تعالى الله عما يقولون، ويجيب إمامهم هذه المرة أيضا بالبداء، ويعين ابنا آخر إماما))[2]. ثم تكرر الأمر مرة أخرى وكاد ينهدّ دين الشيعة جملة وتفصيلا وذلك لمّا ((مات الحسن العسكري إمامهم الحادي عشر، قبل أن يولد له ولد لتتلاشى عند ذلك الوصاية المزعومة، وتتلاشى معها الإمامة، وتتلاشى الرجعة والتقية والمتعة والخمس والبداء ... وكل العقائد الشيعية التي أساسها ومربطها إنما هو الإمامة، لكن مدبرها عنده

[1] محمد حسين الزين ، الشيعة في التاريخ ، شبكة الامامين الحسنين للتراث الاسلامي ط 2 ص 31
[2] حامد مسوحلي الإدريسي ، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية ، مكتبة الرضوان، مصر ط 1 ص 21

شيء من الحكمة، فقد اختلق عقيدة جديدة ترقع ما تمزق، وترأب ما انصدع، إذ زعم أن للحسن العسكري ولدا خبأه في سرداب، وسيرجع لشيعته قريبا جدا))[1] وهو المهدي المنتظر الذي يملك الأرض ويملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وعبروا عن اختفائه بمصطلح الغيبة

وهي غيبتان صغرى كان يلتقي فيها بسفرائه الذين يبلغون عنه الأحكام ثم كبرى لم يلتق فيها بأحد إلى أن يخرج وشكلت هذه الغيبة إشكالا في عقيدتهم وهي كيف نتعامل مع نوازل العصر في باب الشرائع مما دفع بهم إلى اختراع نظرية ولي الفقيه الذي يقوم بهذا الدورفي قيادة الأمة وإدارة شؤونها والقيام بمهام الحكومة الإسلامية وإقامة حكم اللّه على الأرض لكن يبقى للإمام خصوصيته الدينية من العصمة الإرادة التكوينة وعلم الغيب وغيرها من العقائد التي تخرج معتقدها من الإسلام .

يتضح مما ذكرنا أن الطوائف الشيعية الثلاث وحتى المنقرضة منها تتفق على أصول وهي الإمامة و العصمة و الوصاية و الرجعة والغيبة و المهدي وأنها خصائص تفرد بها آل البيت المنصوص عليهم وكفروا وفسّقوا كل من لم يكن على منهج وديـــــن الشيعـــــة وأحدثوا بذلك شرخا في الأمة مازلنا نرى آثاره اليوم .

[1] حامد مسوحلي الإدريسي ، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية ، مكتبة الرضوان، مصر ط 1ص 22

لم يكن آل البيت يعتقدون هذه العقائد الباطلة في أنفسهم بل كانوا على عقيدة السواد الأعظم من هذه الأمة التي تدين بدين لا غلوّ فيه ولا إجحافا، كانوا على الوسطية التي دعا إليها الإسلام ، إن التشيع السياسي كان موجودا وحاصلا من الصحابة أنفسهم أما الديني منه فلم بعرف إلا عند أقوام حملوا عقائد اليهود و المجوس وتخرصات الفلاسفة فأشاعوه بين الناس على أنه هو الإسلام ودلّلوا على عقائدهم بالقرآن متأويل ومحرفين لنصوصه وروايات نقلوها عن الأئمة من آل البيت وهم منها براء .

الفصل الثاني

عقـــــــائد الشيـــــعة الإمـــاميـــة

الـــوصـيـــــــة

قال دعبل :

لو قلدوا الموصى إليه زمامهـــا لزمت بمأمون من العثرات

أخا خاتم الرسل المصفى من القذى ومفترس الأبطال في الغمرات

فإن جحدوا كان الغدير شهيـــده وبدر وأحد شامخ الهضبات [1]

وقال أيضا :

طرقتك طارقة المنى ببيات لا تظهري جزعا فأنت بدات

في حب آل المصطفى ووصيه شغل عن اللذات و القينات[2]

و قال في الإمام علي بن أبي طالب :

أخو المصطفى بل صهره ووصيه من القوم والستار للعورات

كهارون من موسى على رغم معشر سفال لئام شقق البشرات[3]

وقال يرثي الإمام لحسين رضي الله عنه :

---

[1] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط1ص 39 /40

[2] المصدر نفسه ص 46

[3] المصدر نفسه ص 47

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قناة يرفـــــــع

و المسلمون بنظر وبمسمع لا جازع ذا ولا متخشـــــــــــع[1]

وقال في آل البيت :

شفيعي في القيامة عند ربي محمد والوصي مع البتـــــول

وسبطا أحمد وبنو بنيه أولئك سادة آل الرســـــــول[2]

وقال في آل البيت :

تعز فكم لك من أسوة تسكن عنك غليل الحزن

إذا عظمت محنة عن عزاء فعادل بها صلب زيد تهن

وأعظم من ذاك قتل الوصي وذبح الحسين وسم والحسن[3]

قال دعبل لما حضرته الوفاة :

أعد لله يوم يلقاه دعبل : ألا اله إلا هو

يقولها مخلصا عساه بها يرحمه في القيامة الله

---

[1] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط 1 ص 95

[2] المصدر نفسه ص 115

[3] المصدر نفسه ص 129

الله مولاه و النبي ومن بعدهما فالوصي مولاه[1]

قال في مدح الإمام علي بيته وآل :

ألا يا حبذا ترب بنجد وقبر ضم أوصال الوصي

وصي محمد بأبي وأمي وأكرم من مشى بعد النبي[2]

يستعمل الشيعة مصطلح الوصي بدل الخليفة ،لأن مصطلح الخليفة له بعد سياسي بحت أما الوصي فيستعمله الشيعة للدلالة على الشرعية الدينية و السياسية معا وهو مدخل لعقيدة الإمامة لأنها تبدأ من الوصية .

يقول الشيعة أن النبي يخلفه إمام يوصي له قبل وفاته ليتم سيرته في نشر الدين و التشريع للناس، ثم تنتقل الوصية من إمام إلى إمام ، و لو لم تكن كذلك لادعى كل من له نسب لآل البيت الإمامة ، فهذه الطريقة فكت النزاع حول من يخلفه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

استدل الشيعة على الوصية بالقرآن الكريم في قوله تعالى:

((وانذر عشيرتك الأقربين)) سورة الشعراء الآية 214 ((ذكر المفسرون و المؤرخون :أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمره بإنذار أقربائه وعشيرته

[1] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط 1 ص 140

[2] المصدر نفسه ص 144

ودعوته إلى الإسلام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بأن يصنع طعاما ويدعو بني عبد المطلب حتى يبلغهم ما أمره الله تعالى، فصنع الإمام علي الطعام وهيئ الشراب ووجه الدعوة إلى أقرباء الرسول وأعمامه وكانوا أربعين رجلا وعندما جلسوا جميعا على المائدة تناول النبي صلى الله عليه وسلم قطعة اللحم ونتفها ثم وزعها في نواحي الإناء وتوجه إلى القوم قائلا : خذوا بسم الله فابتدؤا بتناول الطعام ولقد كان الطعام يكفي لأحدهم فقط إلا أن بركة يد رسول الله جعلت الطعام كافيا لهم حيث أكلوا بأجمعهم وشبعوا من دون أن يطرأ نقصان على الطعام ثم قم علي وقدم لهم اللبن يكفي لأحدهم فقط إلا أن بركة النبي جعلت اللبن كافيا لهم جميعا هذه المعجزة من النبي صلى الله عليه وسلم جلبت انتباه أبي لهب فتصور أنها كانت سحرا منه لأنه كافر لا يؤمن بالمعجزة ولذلك التفت إلى القوم قائلا لشد ما سحركم صاحبكم وبكلامه هذا فوت الفرصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك له مجالا لتنفيذ المهمة وأداء الرسالة حيث تفرق القوم بدون إنذار ، فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي قائلا يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن اكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم لي ، وفي اليوم الأخر كان كل شيء جاهزا ولما جلس النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعل بالأمس وبعد أن تناولوا الطعام و الشراب وقبل أن يتكلم منهم احد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فيهم وقال : يا بني عبد المطلب إني والله لا اعلم شاب من العرب جاء قومه أفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير

الدنيا و الآخرة أن الله قد بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الأقربين وأنا ادعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكوا بهما العرب و العجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا اله إلا الله واني رسول الله فأيكم يؤمن بي ويؤازني على أمري فيكـــون أخـــي و وصيي ووزيري وخليفتي فيكم من بعدي ؟

فساد المجلس صمت وهدوء وسكت القوم و ما قام أحد إلا علي وكان أصغرهم سنا فقال أنا يا نبي الله أكون وزيرك على ما بعثك الله به فقال النبي : اجلس ،ثم أعاد الكلام مرة ثانية وثالثة لكي يفهموا جيدا كلامه ويفكروا في الموضوع فسكت الجميع و لم يجبه احد إلا علي فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي وتوجه إلى القوم قائلا : إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا [1])).

وكذلك بهذه الآية الكريمة :((إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) سورة المائدة الآية 55

((روى الإمام محمد الباقر عليه السلام ان قوما من اليهود منهم عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا اسلموا فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك ومن وليك من بعدك ؟

[1] محمد ابراهيم الموحد القزويني ، الإمام علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الثقلين ــ بيروت ــ ط3 ص 41/39

فنزلت هذه الآية إنما وليكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا فقاموا وأتو المسجـــد فإذا سائل يخرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا سائل ما أعطاك احد شيء ؟

قال السائل : بلى هذا الخاتم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطاكه؟

قال السائل أعطانيه ذاك الذي يصلي في المسجد وأشار إلى علي عليه السلام

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على حال أعطاك ؟

قال السائل : كان راكعا

فقال النبي : الله أكب وكبر أهل المسجد

فالتفت النبي إليهم وقال : علي بن آبي طالب وليكم بعدي

فقالوا : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبعلي بن أبي طالب وليا فأنزل الله عزوجل هذه الآية ((ومن يتول الله ورسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون[1]))

[1] محمد ابراهيم الموحد القزويني ، الإمام علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الثقلين ــ بيروت ــ ط3 ص 44/43

واحتجوا أيضا بآية التبليغ والتي تزامنت مع واقعة الغدير التي تعتبر من أقوى الأدلة لأنها كانت عقب حجة الوداع وفيها تمت الوصية علانية قال تعالى ((يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعـــصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)) سورة المائدة الآية 67

ذكر المفسرون و المحدثون و المؤرخون في تفسير هذه الآية ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر الذهاب إلى الحج في السنة الأخيرة في حياته ــ و الذي عرف فيما بعد بحجة الوداع ــ فانتشر نبأ سفره وتوافد الناس إلى المدينة المنورة وانضموا إلى موكب الرسول ..... ولما أدى صلى الله عليه وسلم مناسك الحج انصرف راجعا إلى المدينة حتى وصل إلى وادي الجحفة بأرض غدير خم وهي المنطقة التي تتشعب منها الطرق الى المدينة و العراق ومصر و اليمن وكان وصوله في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وقت الضحى .

وبينما المسيرة العظيمة تواصل السير إذ نزل جبريل من عند الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتفا بالآية الكريمة ((يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعـــصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين))

وأبلغه أن الله تعالى يأمره بأن يقيم علي بن أبي طالب إمام على الناس وخليفة من بعده ووصيا له وان يبلغهم ما نزل فيه من أية الولاية وفرض الطاعة على كل أحد

فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم عن المسير وأمر أن يلحق به من تأخر عنه ويرجع من تقدم عليه فاجتمع المسلمون جميعا حوله وأدركتهم صلاة الظهر فصلى رسول الله بالناس ..... وكان الجو حارا جدا حتى كان الرجل يضع بعض ردائه على رأسه و بعضه تحت قدميه من شدة الحر ومدت ظلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم على شجرات سمرات ووضعت أحداج الإبل بعضها على بعض حتى صارت كالمنبر فوقف صلى الله عليه وسلم عليها ،لكي تشاهده الجماهير الغفيرة ورفع صوته من الأعماق ملقيا فيهم خطبة بليغة طويلة افتتحها بالحمد و الثناء على الله سبحانه وركز حديثه وكلامه حول شخصية خليفته الإمام عليا وفضائله ومناقبه ومزاياه ومواقفه المشرقة ومنزلته الرفيعة عند الله ورسوله وأمر المسلمين بطاعته وطاعة أهل بيته الطاهرين وأكد أنهم حجج الله وأولياءه المقربون وأمناؤه على دينه و شريعته وأن طاعتهم طاعة الله ورسوله ومعصيتهم وعصية الله ورسوله وأن شيعته في الجنة ومعصيته في النار وكان مما قال :

أيها الناس .... إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤلون فماذا أنتم قائلون ؟

فتعالت الأصوات من هنا وهناك وقالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيرا ،فقال صلى الله عليه وسلم : ألستم تشهدون أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أن جنته حق و ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟

قالوا : بلى نشهد

فقال: اللهم فاشهد

ثم نادى أيها الناس ألا تسمعون ؟

فقالوا : بلى ....بلى

فقال صلى الله عليه وسلم إني فرط على الحوض ،و أنتم واردون علي الحوض ،وإن عرضه بين صنعاء وبصرى فيه أقداح من فضة عدد النجوم فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : الثقل الأكبر : كتاب الله ، طرف بيد الله عزوجل وطرف بأيدكم

فتمسكوا به ولا تضلوا ، و الآخر الأصغر عترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فسألت لهما ذلك ربي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا وقال صلى الله عليه وسلم ((يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعــصمك من الناس))

معاشر الناس : ما قصرت في تبليغ ما أنزل إلي ، وأنا مبين لكم سبب نزول الآية

إن جبريل هبط علي مرارا ثلاثا يأمرني عن السلام ــ وهو السلام ــ أن أقوم في هذا المشهد ، فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي و الإمام من بعدي ، و الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وهو وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى علي بذلك آية من كتابه ((إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون))وعلي بن أبي طالب أقام الصلاة و آتى الزكاة وهو راكع ، يريد الله عزوجل في كل حال ، ثم أخذ صلى الله عليه وسلم بيد الإمام علي فرفعها حتى بان بياض آباطهما ، وعرفه القوم أجمعون

فقال : أيها الناس : من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟

فقالوا الله ورسوله أعلم

فنادى صلى الله عليه وسلم إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم

فمن كنت مولاه فعلي مولاه من كنت مولاه فعلي مولاه من كنت مولاه فعلي مولاه

كررها ثلاثا ، ثم دعا قائلا : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه و أحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله و أدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب [1])).

واحتج الشيعة أيضا بروايات ونصوص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أوصى لعلي بن أبي طالب دون سواه من الصحابة ، منها حديث أنس بن مالك، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول ((كنت أنا و علي عن يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين و أرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين فجعل في عبد الله نصفا، و في أبي طالب نصفا، و جعل النبوة و الرسالة في، و جعل الوصية و القضية في علي، ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه، فالله المحمود و أنا محمد، و الله العلي و هذا علي، فأنا للنبوة و الرسالة، و علي للوصية و القضية))[2] .

وكذلك حديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال ((قال لي النبي صلى الله عليه و آله(يا علي، خلقني الله تعالى و أنت من نور الله حين خلق آدم، و أفرغ ذلك النور في صلبه، فأفضى به إلى عبد المطلب، ثم افترقا من عبد المطلب، أنا في عبد الله، و أنت في أبي

---

[1] محمد ابراهيم الموحد القزويني ، الإمام علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الثقلين ـــ بيروت ـــــ ط3 ص 39 / 53

2 محمد بن الحسن بن علي الطوسي ،الأمالي ، دار الكتب الإسلامية، ايران _ طهران _ ط1ج1 ص204

طالب لا تصلح النبوة إلا لي، و لا تصلح الوصية إلا لك، فمن جحد وصيتك جحد نبوتي، و من جحد نبوتي أكبه الله على منخريه في النار))[1] .

واحتجوا أيضا بحديث نافع مولى ابن عمر: قال: ((قلت لابن عمر: من خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: ما أنت وذاك لا أم لك، ثم قال: أستغفر الله خيرهم بعده من كان يحل له ما يحل له، ويحرم عليه ما يحرم عليه، قال: من هو ؟ قال: علي سد أبواب المسجد وترك باب علي، وقال له: لك في هذا المسجد ما لي وعليك فيه ما علي، وأنت وارثي ووصيي تقضي ديني وتنجز عداتي، وتقتل على سنتي، كذب من زعم أنه يبغضك ويحبني)) [2]

هذه أبرز الأدلة التي يستند إليها الشيعة في باب الوصية ويظهر فيها الإسقاط التام لمبدأ الشورى الذي أمر الله عزوجل نبيه في كتابه أن يلتزم به ،إن الروايات التي يتداولها الشيعة ليست ثابتة بالشكل الذي ساقوه وكذلك معاني الآيات التي ساقوها في آية الولاية إن كانت في علي فهي ليست في بنيه لأن باقي الأئمة لم يتصدقوا وهم ركوع أما التبليغ فهو تبليغ الدين وليس الوصية أما حادثة الغدير فهذه الخطبة لم تتداولها الأمة فليس عليها الإجماع .

[1] محمد بن الحسن بن علي الطوسي ،الأمالي ، دار الكتب الإسلامية، إيران _ طهران _ ط1ج1 ص 332

[2] سليمان الماحوزي البحراني ،الأربعون في إثبات إمامة أمير المؤمنين، دار المحقق ، إيران ، ط 1 ج1 ص 198

أما قوله من كنت مولاه فهذا صحيح لكن المعنى الذي ساقوه محرف والمعنى من كان يحبني و يواليني فليحب عليا ويواليه وباقي النصوص المسندة إلى رسول الله هي ساقطة عند الأمة الإسلامية بمختلف مشاربها إلا الشيعة ذوي النبت اليهودي فالوصية منشأها يهودي و أول من قال بها هو عبد الله بن سبأ اليهودي قياسا على يوشع بن نون وصي موسى كما يزعمون، إن الوصية مدخل للإمامة وباب للطعن في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

الإمامة والمهدي عند الشيعة

قال دعبل في الامام الرضا :

إمام هدى لله يعمل جاهدا ذخائره التقوى ونعم الذخائر

إمام سما للدين حتى أناره وقد مح عنه الرسم و الرسم داثر[1]

قال في علي رضي الله عنه :

أبو تراب حيدره ذاك الإمام القسور [2]

وقد كنا نؤمل أن سيحيا إمام هدى له رأي حصيف[3]

قال دعبل :

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء و النقمات[4]

هذه الأبيات ألقيت على علي بن موسى الرضا وهي ماعرفت بعدها بالتائية وقد أثرت في الرضا إذ لما وصل دعبل إلى هذين البيتين ((بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا ثم رفع رأسه فقال له : يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم ؟ فقلت لا يا مولاي ألا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ،ويملأها عدلا كما ملئت جورا فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني (الجواد) وبعد محمد ابنه علي (الهادي) وبعد علي ابنه الحسن (العسكري) وبعد الحسن ابنه الحجة القائم

---

[1] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط1ص 73

[2] المصدر نفسه ص 113

[3] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط1ص 99

[4] المصدر نفسه ص 45

المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا كما ملئت جورا))[1] لقد بيّن الرضا معنى البيتين بيّن الإمامة والمهدي وحاله وهي الغيبة ووظيفته وهي إجلاء الفساد من الأرض وإقامة العدل أما الإمامة عند الشيعة فهي أصل من أصول الدين يترتب عليها أحكام الإيمان و الكفر و هي ((لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو على لسان الإمام الذي قبله وليست هي بالاختيار أو الانتخاب من الناس))[2] كما إنها عقيدة مجمع عليها بين كل طوائف الشيعة أما الاثناعشرية فترى أنها في علي وبنيه من بعده ، ((اتفقت الإمامية أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة الحسن والحسين بعد أمير المؤمنين عليه السلام وأن أمير المؤمنين أيضا نص عليهما كما نص الرسول صلى الله عليه وسلم))[3] وكما أن جاحد النبوة كافر فكذلك من جحد الإمامة باعتبارها امتدادا للنبوة ((اتفقت الإمامية وكثير من الزيدية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام ظلال فاسقون وبتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن مقام رسول الله صلوات الله عليه وآله عصاة ظالمون وفي النار بظلمهم مخلدون))[4] لقد حشد الشيعة الكثير من النصوص تثبيتا للإمامة ومكانتها من أدلتهم قول الله تعالى "إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني اعلم مالا تعلمون " البقرة الأية 30

((الجعل من شأن الله ومن مختصاته سبحانه وتعالى ومن شؤونه حيث قال سبحانه وتعالى " إني جاعل" فنسب الجعل إليه سبحانه وتعالى وذلك لعلمه بالمصالح والمفاسد التي لا يعرفها المخلوق .... هذا الجعل مستمر على طول المسيرة و في كل الأزمنة من ادم

1 جعفر السبحاني ، أضواء على عقائد الشيعة وتأريخهم ، دار مشعر ط1 ص224

2 محمد رضا المضفر ، عقائد الإمامية ، دار الزهراء للنشر و الطباعة و التوزيع _لبنان _بيروت_ الطبعة 6 ص 55

3 الشيخ المفيد ،أوائل المقالات ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ،الطبعة 1 ص 41

4 المصدر نفسه ص 42

إلى يوم القيامة)) [1] وباعتبار الإمامة امتدادا للنبوة فإن لهما نفس الخصائص فالإمام والنبي يقع عليهما الجعل أي التنصيب من قبل الله تعالى ، وقولهم أيضا في الآية الكريمة " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين " ((تتأكد هنا بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال " ومن ذريتي " فلو انه لم يعلم ولم يعرف باستمرارية النبوة و الإمامة في الأرض لما طلب ذلك من الله ونعلم ان الله أيضا وعد باستجابة الدعاء من المؤمنين فلابد انه استجاب دعوة إبراهيم عليه السلام ولكن بقيد عدم إعطاء الإمامة للظلمة من ذريته وهنا يبرز شرط العصمة بوضوح تام وعلى هذا يثبت لنا أن الجعل لا يكون من الناس وإنما يكون منه وحده سبحانه وتعالى))[2] ومن الآيات أيضا الدالة على الإمامة قول الله تعالى " يا آيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الأخر ذلك خير و أحسن تأويلا " ((هذه الآية الكريمة قد حسمت موضوع القيادة حيث جعلت الحاكمية بعيدة عن الاختيار وانه أمر لا يتعلق بالبشر وإنما هو أمر يتعلق بالمولى سبحانه وتعالى فهو الآمر وهذا الأمر لا يتعلق بمجموعة دون أخرى إنما هو أمر عام مفروض على كل مؤمن و مجموع الأمة وان هذه طاعة مطلقة لا تختص بجهة دنيوية وإنما الأساس فيها الحاكمية و المرجعية الدينية ..... وهذا يستبطن الاعتقاد بان زمان أولي الأمر غير زمان الرسول و إلا ففي زمن الرسول فالرد إلى الرسول و لا لأحد غيره مهما كان))[3] يتضح من هذا التفسير أنهم يرون أن أولى الأمر المقصود منهم الأئمة فهي أية تدل على الإمامة باعتبار ها استمرارا للنبوة وتبين منزلة الإمام الذي يلي الرسول في الرتبة باعتباره خلفا له من حيث تبيان الشرائع و الاحتكام إليه في أمور الدين و الدنيا ويتبين للقارئ أن في هذه التفاسير تمحلا من صاحبها و محاولة لليّ

---

[1] خليفة عبيد الكلباني اليماني ، أصول الإمامة ، دار العصمة الطبعة 1 ص 14

[2] المرجع نفسه ص 17

[3] المرجع نفسه ص 21/20

أعناق النصوص من اجل تثبيت الإمامة، ولم يكتف الشيعة بالقرآن فدللوا عليها بالعقل فقالوا ((لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أورد عن الله تعالى حكمة بالغة وكان لازما له عليه الصلاة و السلام أداؤها إلى من كان رسولا إليه من نوع البشرية الكائن منهم بالوجود في أيامه ومن يجيء إلى الكون من البشر إلى يوم القيامة بالتوالد بعده وكان من كان في أيامه من البشر لا استطاعة لهم في قبول الحكمة دفعة واحدة ولا كان في المقدور أن يكون من يجيء إلى الكون من البشر إلى يوم القيامة موجودا جملة ولا كان مقدرا أن يبقى الرسول في العالم بقاء سرمدا إلى أن تتصرم الأمم ويؤدي إليهم أمانة إليه وجب أن ينصب من يقوم مقامه في أداء الأمانة و النص على غيره أبدا إذا حان انتقاله ومن ينصب لذلك هو الإمام إذا الإمامة واجبة))[1] ومن أدلتهم أيضا قولهم ((لما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب الكريم و الشريعة المشروعة و السنن المفروضة و الرسوم الدينية و الأقوال المهذبة ممكنا الزيادة فيه و النقصان منه و في الاستطاعة تغيير رسومه وأحكامه و الإحداث فيه ..... وجب طريق الحكمة أن يكون بها موكلا من يحفظها عن وجهها ويمنع من الزيادة و النقصان و التغيير منها ويجري بالإمامة على سننها فتكون أوامر الله طرية وكلمته عالية وشأفة الشر مستأصلة و الموكل هو الإمام المختار من جهة الله تعالى إذا الإمامة واجبة))[2] كذلك من أدلتهم العقلية قولهم ((لما كانت الطبائع مختلفة و الأهـــواء متفاوتة و الحوادث غير معلومة ولا محصورة وكان في الطبع الاستطالة و التعدي وحـــب القهر و الغلبة وجب من طريق الحكمة أن يكون بين الناس حاكم يفصل بينهم الحوادث فلا يكون لهم محيص عن حكمه ولا مهرب عن قضائه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم في أيامه فأخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجـــر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

[1] أحمد حميد الكرماني ، المصابيح في إثبات الإمامة ، مؤسسة النور للمطبوعات _بيروت_ لبنان_ ط 1 ص 83

[2] المصدر نفسه ص 83 / 84

ويسلموا تسليما " و الحاكم الإمام إذا الإمامة واجبة)) [1] قدم الاثناعشرية جملة من الأدلة النقلية و العقلية التي تثبت الإمامة وتوجبها وان المتأمل فيما ساقوه من براهين يرى أن أدلة الإمام نفسها أدلة الإمامة لا تكاد تفارقـــــها مثل النبوة تماما فإذا ما تكلمنا عن النبوة وجب علينا لزاما التكلم عن النبي إذ هي صفته التي لا تنفك عنه و هذا الذي أراد الشيعة أن يمرروه من خلال أدلتهم على الإمامة فهم يرون أنها بمثابة النبوة لا تنفك عن صاحبها ولذا أعطوا للإمام خصال ووظائف النبي((لابد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر و إرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم و العدوان من بينهم وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة و الدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول))[2] ومع ذلك لا يخفى على المتتبع لهم زيف ووهن أدلتهم إذ لو كان للإمامة هذه المكانة السامية في الدين وأنها في مقام النبوة لتكلم بها صراحة القرآن الكريم في آية محكمة صريحة كما تكلم في النبوة قال تعالى " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة و الكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون " الحديد الاية 26 .

أمّا المهدي الذي تتمحور عليه كل عقائد الشيعة فعند الإمامية هو الثاني عشر ويلقب بالحجة أو القائم أو المهدي واسمه محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بـــــــــن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب واختلف اختلافا شديدا هل ولد أم لا ؟لاسيما وقد انكر ولادته عمه جعفر بن علي ، فاختلف الشيعة وانقسموا عدة طوائـــــــف لكن الإمامية قطعوا بولادته فقالوا ((ولد في سامرّاء عند

[1] أحمد حميد الكرماني ، المصابيح في إثبات الإمامة ، مؤسسة النور للمطبوعات _بيروت_ لبنان_ ط 1 ص 88

[2] محمد رضا المضفر ، عقائد الإمامية ، دار الزهراء للنشر و الطباعة و التوزيع _لبنان _بيروت_ الطبعة 6 ص 54/ 55

الفجر من يوم الخامس عشر من شعبان سنة 255 هــ وسمّاه أبوه محمدا فكان ذلك مصداقا للحديث النبوي المعروف يواطئ اسمه اسمي وكنّاه أبا القاسم))[1] و احتجوا له بعدة احاديث نبوية تنص على ان المهدي من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم منها ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا)) [2] ، وقولهم ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة))[3]

لم يكتفي الشيعة بالقول بولادته بــل قالوا بحياته منذ لك الزمن إلى اليوم لكنه غائب لا يراه الناس وبرروا سببها ان السلاطين كانوا يريدون قتله لأنه لو ظهر ستذهب شرعية ملكهم وقسموا غيبته إلى غيبتين صغرى وكبرى أما الصغرى فاختلفوا في وقتها إلى رأيين :

الأول : ((بدأت بمولده حيث كان مولده مبنيا على الكتمان فكان الإمام غائبا منذ ذلك الحين وإلى أن يظهر للعيان بشكل علني عام [4])) .

الثاني : ((الغيبة ظهرت بدأت من حيث شهادة والده الإمام العسكري وبالضبط بعد صلاته على جنازة الإمام العسكري [5])) .

كان الإمام يتواصل مع شيعته في هذه الفترة مع عدة سفراء كانوا ينقلون لهم علم الإمام وأجوبته على مسائل دينهم وما إن مات السفراء حتى دخل الإمام في مرحلة الغيبة الكبرى وبعدها يخرج للناس عند حصول عدة أشياء تنبئ بظهوره للناس هذه الأمارات هي :

1. النداء في السماء

---

[1] محمد حسن آل ياسين ،المهدي المنتظر ، المكتب العالمي للنشر و التوزيع ــ بيروت ــ ط 3 ص 21

[2] احمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، مسند الامام احمد ، دار الرسالة ط 1ج 2 ص 163

[3] أبو داود سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ج 4 ص 107

[4] فاضل المالكي ، الغيبة الصغرى و السفراء الأربعة ، مركز الأبحاث العقائدية ط 1ص 40

[5] المرجع نفسه ص 41

2. الكسوف و الخسوف في غير مواقعهما
3. الشقاق و النفاق في المجتمع
4. ذيوع الجور و الظلم والهرج والمرج في الأمة
5. ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر و الأبيض
6. قتل النفس الزكية
7. خروج الدجال
8. خروج السفياني[1]

ثم يخرج المهدي للناس لإقامة العدل ورفع الجور عن الناس وإقامة دين الله عزوجل كما أنزل على النبي صلى الله عليه عليه وسلم هذه هي معتقدات الشيعة في مهدييهم .

إن المتأمل في عقيدة الشيعة يرى بأنها مبنية على شيئين هما الخرافة و الغلو اللذان ينفران

المسلم من مذهبهم ، إذ علقوا مصائر الناس بالإيمان بالمهدي والأئمة قبله فهو في رتبة النبي عندهم وعند غلاتهم أكثر أما البقية من المسلمين يؤمنون بوجود المهدي وانه يظهر في آخر الزمان وأنه يقيم الدين ويصلح الله على يديه الناس وهو كبقاقي الناس لا خوارق له

ولا معجزات ويموت كما يموت الناس لا كما قال به الشيعة ، إن العقل الشيعي مغلق بسبب

إغراقه في الخرافة التي بررها بالدين و الغلو الذي برره بالتدين .

[1] جعفر السبحاني ، أضواء على عقائد الشيعة وتأريخهم ، دار مشعر ط1 ص235

العـــصمة

قال دعبل :

لو قلدوا الموصى إليه زمامهـــــا لزمت بمأمون من العثرات

أخا خاتم الرسل المصفى من القذى ومفترس الأبطال في الغمرات[1]

وقال أيضا :

منازل قوم يهتدى بهداهـــــــم فتؤمن منهم زلة العثرات[2]

وقال أيضا في خصائص الإمام علي ابن أبي طالب :

ألا إنه طُهر زكي مُطهر سريع إلى الخيرات و البركات[3]

يعتقد الشيعة بعصمة الأئمة وأنهم منزهون عن الخطأ لأنهم يحفظون الدين و يشرعون للناس أمور دينهم ولا ينبغي لمن له هذه الوظيفة الزلل و الوقوع في المعاصي، فهي((لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع بالمعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها [4]))، وبما أن الإمامة تقوم مقام النبوة فكذلك الإمام يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذ جميع صفاته ، وقد

[1] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط1ص 39
[2] المصدر نفسه ص 40
[3] دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط1ص 47
[4] الشيخ المفيد ، النكت الإعتقادية ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط 1ص38

صرحوا بهذا قائلين : ((نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل و الفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدا أو سهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو و الخطأ و النسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي [1])) .

وبناء على هذه المقدمة ساق الشيعة أدلتهم العقلية و النقلية لإثبات عصمة الأئمة فمن أدلتهم العقلية قولهم ((العصمة تنطلق من أمرين أحدهما العلم الشامخ الذي وصل إلى مرتبة الكشف التام الذي لا يمكن أن يعرضه نقص أو خلل مطلقا وهي مرحلة تنطلق من مثل ما ورد عن أمير المؤمنين لو كشف الغطا ما ازددت إلا يقينا وحينئذ يمكن القول : إذا كان دليل العصمة يرتكز على سد كل أبواب القدح و التشكيك بالنبي أو الإمام ،فإن افتراض المعصوم يعيش كأي شخص عادي فيما يتعلق بالشؤون التي لا يترتب عليها أثر علمي كأن يرشد شخصا عمرو وهو يريد أن يريد أن يدله على بيت زيد جهلا أو سهوا ، وكأن يأتيه سائل فلا يدري ما يريد أو ربما يترتب عليه أثر علمي مهلك أو مسبب لخسائر فادحة كما إذا وصف إذا وصف عشبة فأدت لمرض من تناولها أو موته .... إن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم شخصية واحدة وخصالها تظهر وتعرف من آثارها في مجالات حياته كافة دون أي تناقض أو اختلاف وهذا يعني أن كل خطأ قد يقع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سيؤدي فيه إلى الاقتناع بأن الخطأ من النبي ممكن إذا كان ممكنا كان الناس أن يسروا هذا الإمكان إلى المجالات التي لا مجال فيها للخطأ وهذا يعني أن

[1] محمد رضا المضفر ، عقائد الإمامية ، دار الزهراء للنشر و الطباعة و التوزيع _لبنان _بيروت_ الطبعة 6 ص 56

انكشاف خطأ النبي صلى الله عليه وسلم ذو تأثير غير مباشر على مجالات النبوة لأنه يعكس تصورا عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ... ولو كان جهلا بسيطا فإن الأمر فيه كذلك حتما ،

لأن النصوص المروية المعصومين عليهم السلام مختلفة وكثير منها يظهر منه العلم التام حتى بما يتعلق بتلك الموضوعات بحيث لا يبقى سبيل للخطأ فيها لأن الخطأ لا يكون إلا عن جهل بل لا يبقى مجال حتى لفرض الجهل البسيط [1])) ، أي أن العصمة وصف مطلق يختص به النبي و الإمام عصمته في تصرفاته الدنيوية و الدينية فإن قلنا بالخطأ في أفعاله الدنيوية لزم منه القول بالخطأ في الأمور الشرعية وهذا لا يجوز في حقهما لأن العصمة لا تنفك عنه بوجه من الوجوه فهي ليست نسبية ، ومن أدلتهم أيضا قولهم :((إن الإمام يتضمن معنى العصمة لأن الإمام لغة هو المؤتم به كالرداء اسم لما يرتدى به فلو جاز عليه الذنب فحال إقدامه على الذنب إما أن يقتدى به أو لا فإن كان الأول كان الأول الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا محال وإن كان الثاني خر ج الإمام عن كونه إماما فيستحيل رفع التناقض بين وجوب حونه مؤتما بهوبين وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلا بتصور أن العصمة في مفهوم الإمام ولازمة لوجوده [2]))

ومن أدلتهم كذلك قولهم ((الإمام حجة في تبليغ الشرع للعباد وهو لا يقرب العباد من الطاعة و لايبعدهم عن المعصية من حيث كونه إنسانا ولا من سلطته فإن بعض الرؤساء الذين ادعوا الإمامة كانوا فجرة لا يصح الإقتداء بهم فإذا أمروا بطاعة الله كانوا مصداق قوله تعالى((

[1] السيد صادق المالكي، العصمة بين المبدأ الشيعي و المفاد الروائي، دار العصمة ص 24
[2] الشيخ أحمد الوائلي ، هوية التشيع ، دار الصفوة _بيروت _لبنان _ط 3 ص 147

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)) ــ سورة البقرة الآية 44 ــ و في مثل هذه الحالات لا يثق المكلف بقوله وله بعذره فثبت أن تقريب الناس من طاعة الله لا من حيث كون الإمام إماما وإنما من حيث كونه معصوما حيث لا يكون للناس عذر عصيانه تصديقا لقوله تعالى ((لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) ــ سورة النساء165 ــ والأئمة حجج الله على الرسل سواء بسواء لأن الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر))[1] ومن أدلتهم كذلك قولهم ((إن النوع الإنساني يتحرك نحو تكامله و أن الصراط المستقيم ما هو إلا روح الشرائع الإلهية التي حملها الأنبياء إلى البشر، وهي بذلك تمثل الطريق الحقيقي الذي لا يقبل التفكيك بين درجاته وحلقاته وإن غاية الحركة التكاملية الممكنة بشريا تتجسد في روح الشريعة ومنزلة الولاية و الإمامة وإن وجود فرد كامل بين ظهراني البشر ضرورة حياتية لاستمرار وديمومة الوجود الإنساني بأسره لأنه المحل الذي ينعكس عنه الفيض الإلهي للحق تعالى وهو يمثل العلاقة بين عالمي الغيب و الشهادة وعلى هذا فإن العصمة ضرورة من ضرورات الإمامة ،لأنها التجسيد الحي لتكامل الإمام وكماله واعتباره المثال الحي لإمكانية البشر في سلوك الطريق القويم من خلا حركة تكاملية يجسد مسيرتها الإمام ومادام الصراط المستقيم يرتبط ارتباطا وثيقا لا يقبل الانفكاك مع أحكام الدين فإن كل من يحيد عن حكم واجد سيكون خارجا عن الصراط وبالتالي فلن يمثل هذا الفرد بأي حال من الأحوال تكامل الإنسان وغاية النوع الإنساني وهذا أيضا ينسحب على الخطأ و النسيان وعدم احتمالهما في ذات الإنسان ،لأنهما يقودان إلى ذات النتيجة))[2] .

[1] الشيخ أحمد الوائلي ، هوية التشيع ، دار الصفوة _بيروت _لبنان _ط 3 ص 148

[2] العلامة الشيخ ابراهيم الاميني ، ترجمة كمال السيد ، دراسة عامة في الإمامة ، مؤسسة أنصاريان ط 2ص 148/147

إن دين الشيعة قائم على عقيدة الإمامة التي تتفرع منها باقي العقائد ، فإذا أرادوا التدليل على عقيدة ما انطلقوا من الإمامة أولا باعتبارها أصل العقائد وبما أنها في مقام النبوة فما يسوقونه من براهين عقلية على النبوة يجعلونها في الإمامة لأنها امتداد للنبوة و الإمام له وظيفة النبي إذن يحوز بذلك كل خصائص النبي و بهذا التسلسل لا يرى الشيعي أي غلو فيما يطرح مادام قد سلم بالأصل .

ساق الشيعة أيضا جملة من النصوص الشرعية من القرآن و السنة النبوية محاولة منهم لتثبيت العصمة والتدليل عليها مما لا يبقى للناظر أدنى شك في كونها صفة للأئمة و التي لا تنفك عنهم لحظة واحدة فمن القرآن الكريم استدلوا بخطاب الله تعالى لإبراهيم ((وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)) أي ((أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالما في جميع عمره، و من لم يكن ظالما في جميع عمره، و من هو ظالم في أول عمره دون آخره، و من هو بالعكس هذا، و إبراهيم (عليه السلام)) أجل شأنا من أن يسأل الإمامة للقسم الأول و الرابع من ذريته، فبقي قسمان و قد نفى الله أحدهما، و هو الذي يكون ظالما في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر، و هو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره و قد ظهر مما تقدم ... أن الإمام يجب أن يكون معصوما بعصمة إلهية [1])).

[1] العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط1 ج1 ص 158

وكذلك استدلوا بالآية الكريمة((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم)) فإنّه تعالى أوجب طاعة أُولي الأمر على الإطلاق كطاعته وطاعة الرسول، وهو لا يتمّ إلاّ بعصمة أُولي الأمر، فإنّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية وتحرم طاعته فيها، فلو وجبت أيضاً اجتمع الضدّان، وجوب طاعته وحرمتها ولا يصحّ حمل الآية على إيجاب الطاعة له في خصوص الطاعات، إذ مع منافاته لإطلاقها لا يجامع ظاهرها من إفادة تعظيم الرسول وأُولي الأمر بمساواتهم لله تعالى في وجوب الطاعة، إذ يقبح تعظيم العاصي، ولا سيّما المنغمس بأنواع الفواحش على أنّ وجوب الطاعة في الطاعات ليس من خوّاص الرسول وأُولي الأمر، بل تجب طاعة كلّ آمر بالمعروف، فلا بُدّ أن يكون المراد بالآية بيان عصمة الرسول وأولي الأمر، وأنهم لا يأمرون ولا ينهون إلا بحق[1]))

و قوله تعالى((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)) والاستدلال بالآية على عصمة أهل البيت وبالتالي حجيّة أقوالهم رهن أمور:

الأول: الإرادة في الآية إرادة تكوينية لا تشريعية، والفرق بين الإرادتين واضح، فإن إرادة التطهير بصورة التقنين (الإرادة التشريعية) تعلّقت بعامّة المكلّفين من غير اختصاص بأئمّة أهل البيت– عليهم السّلام– كما قال سبحانه((ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ....)) فلو كانت الإرادة المشار إليها في الآية إرادة تشريعية لما كان للتخصيص والحصر وجه مع أنّا نجد فيها تخصيصاً بوجوه خمسة: بدأ قوله سبحانه بحرف (إنما) المفيدة للحصر. قدّم الظرف (عنكم) وقال:

[1] محمد حسن المضفر ، دلائل الصدق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت ، ج 4 ص212

(ليذهب عنكم الرجس) ولم يقل ليذهب الرجس عنكم لأجل التخصيص بيّن من تعلقت إرادته بتطهيرهم بصيغة الاختصاص، وقال: (أهل البيت) أي أخصّكم، أكد المطلوب بتكرير الفعل، وقال: (ويطهركم) تأكيدا (ليذهب عنكم الرجس) وأرفقه بالمفعول المطلق، فقال: (تطهيرا). كل ذلك يؤكد أن الإرادة التي تعلقت بتطهير أهل البيت غير الإرادة التي تعلقت بعامة المكلّفين، والمراد من الرجس كل قذارة باطنية ونفسية، كالشرك، والنفاق، وفقد الإيمان، ومساوئ الأخلاق، والصفات السيئة، والأفعال القبيحة التي يجمعها الكفر والنفاق والعصيان، فالرجس بهذا المعنى أذهبه اللّه عن أهل البيت، ولا شكّ أنّ المنزّه عن الرجس بهذا المعنى يكون معصوماً من الذنب بإرادة منه سبحانه [1]))

ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : ((إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به، لن تضلوا بعدي: الثقلين – أحدهما أكبرُ مِن الآخَر – كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألَا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) ، من الأدلة القاطعة على عصمة أئمتنا بالمعنى الذي نذهب إليه وليس فيه أي مجال للبحث و النقاش حديث الثقلين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن العترة بالقران وجعلهما معا الوسيلة للهداية وأنهما لن يفترقا بـــــ لن التأبيدية حتى يردا عليه الحوض قال فانظروا بما تخلفوني فيهما فكما أن القران الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما نص القران نفسه

[1] الشيخ جعفر السبحاني، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، مؤسسة الإمام الصادق ط1 ج2، ص: 582-584

كذلك أهل البيت لا يأتيهم الباطل من بين يديهم ولا من خلفهم هؤلاء كلهم أي الأئمة سلام الله عليهم عين الله ويده ولسانه[1]))

وفي السنة أيضا عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : كنت عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والأنصار ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا : بلى قال : فإن خياركم الموفون المطيبون ، إن الله يحب الخفي التقي قال : ومر علي بن أبي طالب ، فقال : الحق مع ذا ، الحق مع ذا [2])) .

الرواية دالة على عصمة أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن العصمة لا تعني إلا التمسّك بالحق ومن دار معه الحقّ أو دار هو مع الحق كيفما دار لا يعصي، وعندما يخبر النبي الأكرم أن عليا مع الحق مطلقا كما هو مفاد الحديث فهذا يعني – بما لا ريب فيه– أنه عليه السلام معصوم عن مخالفة الحق لأن المخطئ والمشتبه فلا يصح وصفه بأنه مع الحق وكذلك روي عن الرسول أنّه قال: ((من سره أن إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عز وجل بيده ويكون متمسكا به فليتول عليا و الأئمة من ولده فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة [3])) والرواية صريحة بعصمة الإمام علي والأئمة من ولده .

[1] السيد علي الحسين الميلاني ، العصمة ،مركز الأبحاث العقائدية ،إيران ، قم ، ط 1 ص 42

[2] ابن حجر العسقلاني ، المطالب العالية بزوائد الأسانيد الثمانية ، دار المعارف ببيروت ج 11 ص232

[3] محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان ج25 ص193

الخاتمة

نستخلص من هذا البحث العديد من القضايا أن العرب مروا بتجارب متشابهة مما حرك فيهم طبائع الماضي فاستحضروه في أثواب مختلفة سياسية و دينية كما أننا نستشف من البحث أن السياسة هي من ساهمت في توسع المذاهب و الطوائف فيبدأ الأمر سياسيا ثم يتطور حتى يصبح عقيدة يتم من خلا لها إقصاء الآخر وكثيرا ما استخدمتها من أجل أغراضها وهذا الذي برز بقوة عند نشأة الدولة العباسية وما استخدمته في صراعها مع العلويين.

إن هذا البحث يبرز حقيقة التشيع وما انطوى عليه من عقائد تنافي الإسلام الذي جاء من أجل تنوير العقل و القضاء على الخرافة التي خلفت الأمة العربية عن ركب الحضارة عقودا من الزمن ويبين أن المتشيع عبارة عن كتلة من الأحقاد و الضغائن منذ ذلك العهد على مخالفيه.

فالتشيع دين مغلق محصور في ذاته لا يرى الآخر إلا في دائرة الكفر معلنا عنه الحرابة مستندا إلى ذلك النسيج العقائدي المنبثق من الإمامة التي أعطوها شرعية دينية مع أنها في الأصل لا تخرج عن دائرة السياسة.

قائمة المصادر و المراجع

1. المفضل محمد بن يعلى بن سالم ، المفضليات دار المعارف - القاهرة – الطبعة السادسة
2. أبو زكرياء يحي بن علي التبريزي الخطيب ، شرح المعلقات السبع ، دار المحابر - الجزائر - الطبعة الأولى
3. إبن هشام ، السيرة النبوية ، دار الإمام مالك - الجزائر -
4. القاضي عياض الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، دار الحديث - مصر - القاهرة –
5. إبن قتيبة الدينوري ، الشعر و الشعراء ، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت -
6. محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، دار النهضة - مصر للطباعة و النشر
7. مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت -
8. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، دار طوق النجاة - سوريا – دمشق
9. إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي - لبنان – بيروت
10. عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز - الطبعة الأولى
11. إبن كثير ، البداية و النهاية ، الدار المتوسطية للنشر و التوزيع - تونس -
12. عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار إبن الجوزي – الطبعة الأولى ،2014
13. إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة – لبنان –بيروت – الطبعة الثانية
14. إحسان الهي ظهير ، الشيعة و التشيع _فرق و تاريخ_ دار ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة العاشرة
15. محمد حسين الزين ، الشيعة في التاريخ ، شبكة الامامين الحسنين للتراث الاسلامي الطبعة الثانية

16. حامد مسوحلي الإدريسي ، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية ، مكتبة الرضوان، مصر الطبعة الأولى

17. ابو بكر البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت

18. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، دار الرسالة الطبعة الأولى

19. جعفر السبحاني ، أضواء على عقائد الشيعة وتأريخهم ، دار مشعر الطبعة الأولى

20. محمد رضا المضفر ، عقائد الإمامية ، دار الزهراء للنشر و الطباعة و التوزيع _لبنان _بيروت_ الطبعة السادسة

21. الشيخ المفيد ،أوائل المقالات ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ،الطبعة الأولى

22. خليفة عبيد الكلباني اليماني ، أصول الإمامة ، دار العصمة الطبعة

23. أحمد حميد الكرماني ، المصابيح في إثبات الإمامة ، مؤسسة النور للمطبوعات _بيروت_ لبنان_ الطبعة الأولى

24. محمد حسن آل ياسين ،المهدي المنتظر ، المكتب العالمي للنشر و التوزيع ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة

25. احمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، مسند الامام احمد ، دار الرسالة الطبعة الأول

26. أبو داود سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

27. فاضل المالكي ، الغيبة الصغرى و السفراء الأربعة ، مركز الأبحاث العقائدية الطبعة الأولى

28. السيد صادق المالكي، العصمة بين المبدأ الشيعي و المفاد الروائي، دار العصمة

29. الشيخ أحمد الوائلي ، هوية التشيع ، دار الصفوة _بيروت _لبنان _الطبعة الثالثة

30. الشيخ أحمد الوائلي ، هوية التشيع ، دار الصفوة _بيروت _لبنان _ الطبعة الثالثة

31. شيخ المفيد ، النكت الإعتقادية ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، اطبعة الأولى

32. العلامة الشيخ ابراهيم الاميني ، ترجمة كمال السيد ، دراسة عامة في الإمامة ، مؤسسة أنصاريان الطبعة الثانية

33. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة الأولى

34. محمد حسن المضفر ، دلائل الصدق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت

35. الشيخ جعفر السبحاني، الانصاف في مسائل دام فيها الخلاف، مؤسسة الامام الصادق الطبعة الأولى

36. السيد علي الحسين الميلاني ، العصمة ،مركز الأبحاث العقائدية ،ايران ، قم ، الطبعة الأولى

37. ابن حجر العسقلاني ، المطالب العالية بزوائد الأسانيد الثمانية ، دار المعارف ببيروت

38. محمد باقر المجلسيى ، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان

39. محمد ابراهيم الموحد القزويني ، الإمام علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الثقلين ـــــ بيروت

40. محمد بن الحسن بن علي الطوسي ،الأمالي ، دار الكتب الاسلامية، ايران_ طهران_

41. سليمان الماحوزي البحراني ،الأربعون في إثبات إمامة أمير المؤمنين، دار المحقق ، ايران

42. الشيخ المفيد ، اوائل المقالات ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد الطبعة الأولى

الفهرس

إهداء.....

مقدمة .....

مدخل.....03

الفصل الأول:

الأحداث التاريخية لنشأة التشيع

الظروف التاريخية لبيعة علي بن أبي طالب 10

معركة صفين وبروز شعر الخوارج 18

الصراع بين يزيد و الحسين و أثره على الخلافة.....24

التشيع الديني 31

الفصل الثاني

عقـــــــــــائد الشيـــــــعة الإمـــاميـــة

الوصية 39

الإمامة و المهدي 52

العصمة 59

خاتمة 67

قائمة المصادر و المراجع 68

الفهرس.....71